أروع القصص العالمية

دراكولا

أكاديميا

أروع القصص العالمية

دراكولا

أكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفر للقارئ متعة تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعاً أدبياً يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدرامية.

في عام 1897، كتب برام (أبراهام) ستوكر رواية دراكولا المثيرة التي لاقت رواجاً شعبياً كبيراً. وهي تروي حكاية الكونت دراكولا، مصّاص الدماء الذي قدم إلى انكلترا من مقاطعة ترانسلفانيا لكي يتغذى على دماء جديدة ويوسّع حلقة مصّاصي الدماء التي بدأت تزداد.

في هذه السلسلة

فرانكنشتاين

الدكتور جيكل ومستر هايد

دراكولا

شبح الأوبرا

20 ألف قدم تحت الماء

رحلة الى باطن الأرض

جزيرة الكنز

روبنسون كروزو

الحديقة السرية

أوليڤر تويست

نداء البراري

بلاك بيوتي- المهر الأسود



أروع القصص العالمية

دراكـــولا

كتبها بتصرُّف

بولين فرانسيس

ترجمة

إيزيس خليل

أكاديميا

دراكــولا

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال 2007

ISBN: 978-9953-37-430-7

DRACULA

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

Academia International أكاديميا إنترناشيونال
P.O.Box 113-6669 ص.ب.
Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان
Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف
Fax (961 1) 805478 فاكس
E-mail: academia@dm.net.lb بريد إلكتروني
www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

دراكــولا

الفهرس

مُقَدِّمَة

وُلِدَ أبْراهام (برام) ستوكِر في دَبْلِن في إيْرلَنْدا في تشْرين الثّاني/نوفمبر مِن العام 1847. وبَعْدَ أنْ أمْضى طُفولَتَهُ مَريضاً أكْمَلَ تَعْليمَهُ المَدْرسيّ ودخل بَعْدَ ذلِك إلى جامِعَةِ دَبْلِن حَيْث درس الرِّياضيّات. ثم انْخَرَطَ في القِطاعِ الحكوميّ كَمُوَظّفٍ مِثْل أبيهِ، وَلكِنَّهُ كان قد شُغِفَ بالمَسْرَح، فَكَتَبَ مَقالاتٍ نَقْدِيَّةً عَن المَسْرح لإحدى المجلات، ثم كَتَبَ قِصَصاً قصيرَةً فيما بعد. وفي العام 1878 قامَ صَديقُ برام المُمَثّل هِنْري إيرفِنْغ بتَعْيينِهِ مُديراً لِمَسْرَحٍ في لنْدن، وَفي نَفْسِ السَّنَةِ تزَوَّجَ برام.

في عام 1897 تمَّ نَشْرُ قِصَّةِ "دراكولا". وَكانَت رائِجَةً جِداً حَتّى إنّهُ تَمَّ إصْدار نُسْخَةٍ غير مجلّدة منها زهيدةَ الثّمَن بَعْدَ ذلِكَ بِثلاثِ سَنواتٍ.

إنَّ قِصَّةَ "دراكولا" غَيْرُ اعْتِيادِيَّةٍ لأنَّها تُسْرَدُ عَن طَريقِ مُذكّراتِ وَرسائِلِ الشَّخْصِيّاتِ الرَّئيسِيَّةِ في القِصَّةِ باسْتِثْناءِ الكونْت دراكولا! وتَرْوي قِصَّةً مُرْعِبَةً عَن الكونْت دراكولا وَهُوَ مَصّاصُ دِماءٍ يَأتي إلى إنكِلْترا للبَحْثِ عَن مَزيدٍ من الضّحايا الذين يُصْبِحون أيضاً مَصّاصي دِماءٍ عِنْدما يقوم بِعَضِّهِم.

اقْتُبِسَت حكايَةُ "دراكولا" في العَديدِ من الأفْلامِ السّينِمائيَّة، ومن ضِمْنِها الفيلم الجَديد "دراكولا برام ستوكِر – Bram Stocker's Dracula".

اسْتَمَرَّ برام ستوكِر بِالكِتابَةِ حَتّى وَفاتِه عام 1912.

الفصل الأول

مُذكّرات جوناثان هارْكِر: قَلْعَةُ دراكولا

4 أيار/مايو في قَلْعَةِ دراكولا في ترانْسلْفانْيا

كانَ الوَقْتُ قَد تَجاوَزَ مُنْتَصَفَ اللّيْلِ عِنْدما اسْتَدارت عَرَبَتي صَوْبَ بَوّاباتِ قَلْعَةِ دراكولا. ولم يكُنْ يُشِعُّ مِن نَوافِذِها أيُّ ضَوْءٍ. واستَقْبَلَني على بابها رَجُلٌ كَهْلٌ طويلُ القامَةِ يَرْتَدي السَّوادَ مِن رَأْسِهِ حَتّى أخْمَصِ قَدَمَيْه.

قالَ وَهُوَ يَمُدُّ يَدَيْه: "أنا الكونْت دراكولا، مَرْحَباً بِكَ في بَيْتي أيُّها السَّيِّد هارْكِر".

صافَحْتُ يَدَ الكونْت فَسَرَت في جَسَدي رَعْشَة. لقد كانت يَدُه بارِدَةً كالثَّلْج، كَيَدِ رَجُلٍ فَقَدَ الحياة، إلاّ أنَّ تَرْحيبَ الكونْت دراكولا الحارَّ قَلَّلَ مِن خَوْفي.

قُلْتُ في نَفْسي بِحَزْمٍ: "لا يوجَدُ ما يَسْتَدْعي الخَوْف مِنْه، لَقَد قامَ بِدَعْوَتي إلى هُنا لأنَّني مُحامٍ أُساعِدُهُ لِشِراءِ مَنْزِلٍ في لنْدن!"

وَفيما كُنْتُ أتَناوَلُ الطَّعامَ بِجانِبِ المِدْخَنَة، نَظَرْتُ إلى وَجْهِ الكونْت عَن قُرْب.

كان وَجْهُهُ شاحِباً وحاجِباه كَثيفَيْنِ يكادان أنْ يَلْتَقِيا عِنْدَ أعْلى أنْفِهِ وَكان فَمُهُ قاسِياً مَخْفِيّاً تَقْريباً أسْفل شارِبِه وَأسْنانُه غَريبَة

وَحادَّة تَبْرُزُ مِن خِلالِ شَفَتَيْهِ الرَّفيعَتَيْنِ. وكانَت أُذُناه مُسْتَدِقَّتَيْنِ وَشاحِبَتَيْنِ للغايَةِ.

وَفَجْأَةً، لَمَحْتُ يَدَي الكونْت دراكولا وَهُوَ يَنْحَني نَحْوي في ضَوْءِ النّارِ. كانَت أظافِرُهُ طويلَةً وَمُسْتَدِقَّةً وَكانَ هُناك شَعْرٌ نابِتٌ في راحَتَي يَدَيْهِ! وما إنْ شَمَمْتُ رائِحَةَ أنْفاسِهِ حتى ارْتَعَدْتُ من الخَوْف.

8 أيار/مايو

كَم تَمَنَّيْت لو أنَّني لَم آتِ إلى هَذا المَكانِ الغَريبِ!

في الصَّباح وفيما كُنْتُ أحْلِقُ ذَقْني أمامَ المِرآةِ، دَخَلَ الكونْت دراكولا إلى غُرْفَتي وَوَضَعَ يَدَهُ على كَتِفي. وَلِدَهْشَتي جَرَحْتُ ذَقْني. فَلِماذا لَم أرَ صورَتَهُ في المِرآةِ؟

اسْتَدَرْتُ لأبْحَثَ عَن لَزْقَةٍ للجروح، وعِنْدَما شاهَدَ الكونْتُ الدَّم على وَجْهي حاوَلَ إمْساكي مِن حَلْقي. وفيما كنتُ أتراجَعُ إلى الخلف بِذُهولٍ، أمْسَكَت يَدُهُ الصَّليبَ الذي أرْتَديه حَوْلَ عُنُقي، فَعاوَدَهُ الهُدوء وَتَرَكَني.

عِنْدَما نَزَلْتُ لِتَناوُلِ طَعام الإفْطار كُنْت ما أزالُ أرْتَعِدُ خَوْفاً.

وَبَعْد ذَلِك، أرَدْتُ أن أستَنْشِقَ بَعْضَ الهَواءِ النَّقِيِّ وَقَرَّرْتُ الذَّهابَ في نُزْهَةٍ. وَلَكِن كُلّ النَّوافِذِ والأبْوابِ كانَت موصَدَةً.

إنَّ قَلْعَةَ دراكولا هَذِه هي سِجْن، وأنا سَجينُها!

12 أيار/مايو

في المَساء وَبَعْدَ حُلولِ الظَّلام، ذَهَبْتُ للتَّنَزُّهِ ضِمْنَ الأسْوارِ

الحَصينَةِ للقَلْعَةِ. وقد أعْطاني ذلك نَوْعاً من الحُرِّيَّةِ وأنا أنْظُرُ إلى جَمالِ الطَّبيعَةِ المُحيطَةِ. رَأيْت ضَوْءاً تحتي وَأدْرَكتُ أنَّني أقِفُ فَوْقَ غُرْفَةِ نَوْمِ الكونْت دراكولا.

انْحَنَيْتُ إلى الأسْفَلِ وَرَأيْتُ رَأسَ الكونْت وذِراعَيْهِ تَخْرُجُ مِن النّافِذَةِ. وبعد أن خرجَ جِسْمُه أيضاً، ظَنَنْتُ أنَّها خِدْعَةٌ بَصَرِيَّةٌ بِسَبَبِ ضَوْءِ القَمَرِ، فَكِدْتُ أصْرُخ رُعْباً واشْمِئْزازاً! لم أسْتَطِعْ تَصْديقَ ما كُنْتُ أراه! لَقَد بَدَأَ يَزْحَفُ نُزُولاً على جُدْرانِ القَلْعَةِ وعَباءَتُهُ مِن خَلْفِهِ وكأنَّها أجْنِحَةٌ عِمْلاقَةٌ. لَقَد كان يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كالسِّحْلِيَّةِ.

أيُّ نَوْعٍ من البَشَرِ هُو؟

إنَّني مَذْعورٌ، وأشْعُر بِأنْ لا مَهْرَبَ لي.

16 أيار/مايو

كان رُعْبي يَزْدادُ وَيَنْمو ساعَةً بَعْدَ ساعَةٍ. لَقَد حَدَثَ للتَّوِّ شَيْءٌ بلَغَتْ فَظاعَتُهُ درجةً جَعَلَتْني أتَمَنّى لو أنَّني قد حلَمْتُ بِذَلِك كُلِّهِ!

كُنْتُ خِلالَ نُزُهاتي قد اكْتَشَفْتُ حُجْرَةً خالِيَةً في قِسْمٍ قَديمٍ من القَلْعَةِ. وفي اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ غَفَوْتُ هُناك ورأيْتُ في ضَوْءِ القَمرِ ثلاث نِساءٍ. لم يَكُن لَهُنَّ خَيالٌ على الأرْضِ فيما كُنَّ يَتَّجِهْنَ صَوْبي كاشِفاتٍ عَن أسْنانِهِنَّ اللامِعَةِ البَيْضاء.

اقْتَرَبَتْ إحْداهُنَّ مِنّي أكْثَر من الأُخْرَياتِ وَشَعَرْتُ بِأسْنانِها تُلامِسُ حَلْقي. وَفجأةً فَتَحْتُ عَيْنايَ وَرَأيْتُ الكونْت دراكولا، وكانَت عَيْناهُ حَمْراوَيْنِ لامِعَتَيْنِ تَتَوَهَّجانِ غَضَباً وهو يَسْحَبُ المَرْأةَ بَعيداً عَنّي.

وفيما كُنْت أُحَدِّقُ مَذْعوراً اخْتَفوا جميعُهم مَع أنَّهم لم يَفْتَحوا أيّ بابٍ، وبَدوا وكَأَنَّهم يَتلاشونَ خِلال أشِعَّةِ ضَوْءِ القَمرِ، وَبَعْدَ ذلك أُغْميَ عَلَيَّ.

18 أيار/مايو

إنَّني تَحْت سَيْطَرَةِ الكونْت دراكولا تَماماً. وقَد طَلَبَ مِنّي أن أكْتُبَ رِسالَةً إلى إنْكلترا أخْبِرُهُم فيها بأنَّني سَأُغادِرُ قَلْعَةَ دراكولا في نِهايَةِ حزيران/يونيو.

لا أصدِّقُهُ، فَهَل يُمْكِن أن أرى عَزيزتي مينا مُجَدَّداً؟

يَجِب أن أُحاوِلَ الهرَبَ.

25 حزيران/يونيو

حاوَلْتُ الهربَ مُجَدَّداً هَذا الصَّباح، لَكِنَّني لم أُوَفَّقْ بَل اكْتَشَفْتُ شَيْئاً تَتَعَدَّى فظاعَتُهُ كُلَّ ما سَبَق.

زَحفْتُ إلى حُجْرَةِ الكونْت بَعْدَ مُغادَرتِه، وَفَتَحْتُ باباً آخَر يوجَدُ في زاوِيَةِ الحُجْرَةِ، ثم دَخَلْتُ عَبْرَهُ ونَزَلْتُ مَجْموعَةً من الدَّرجاتِ نَحْوَ مَمَرٍّ مُظْلِمٍ يُؤَدّي إلى كَنيسَةٍ أثريَّةٍ قَديمَةٍ. وهُناك وَجَدْتُ خَمْسين تابوتاً خَشَبيّاً مليئَةً بالتُّرابِ.

أخَذْتُ نَفَساً عَميقاً وَبَدَأْتُ بِفَتْحِها. وفي التّابوتِ الثّالِثِ وَجَدْتُ الكونْت دراكولا مُمَدَّداً! كانَت عَيْناه مَفْتوحَتَيْن ولَكِنَّه لم يَبْدُ عليه أنَّه يَتَنَفَّس. فرَكَضْتُ مَذْعوراً وعُدْتُ إلى غُرْفَتي.

إنَّني أنْتَظِر أن أموت.

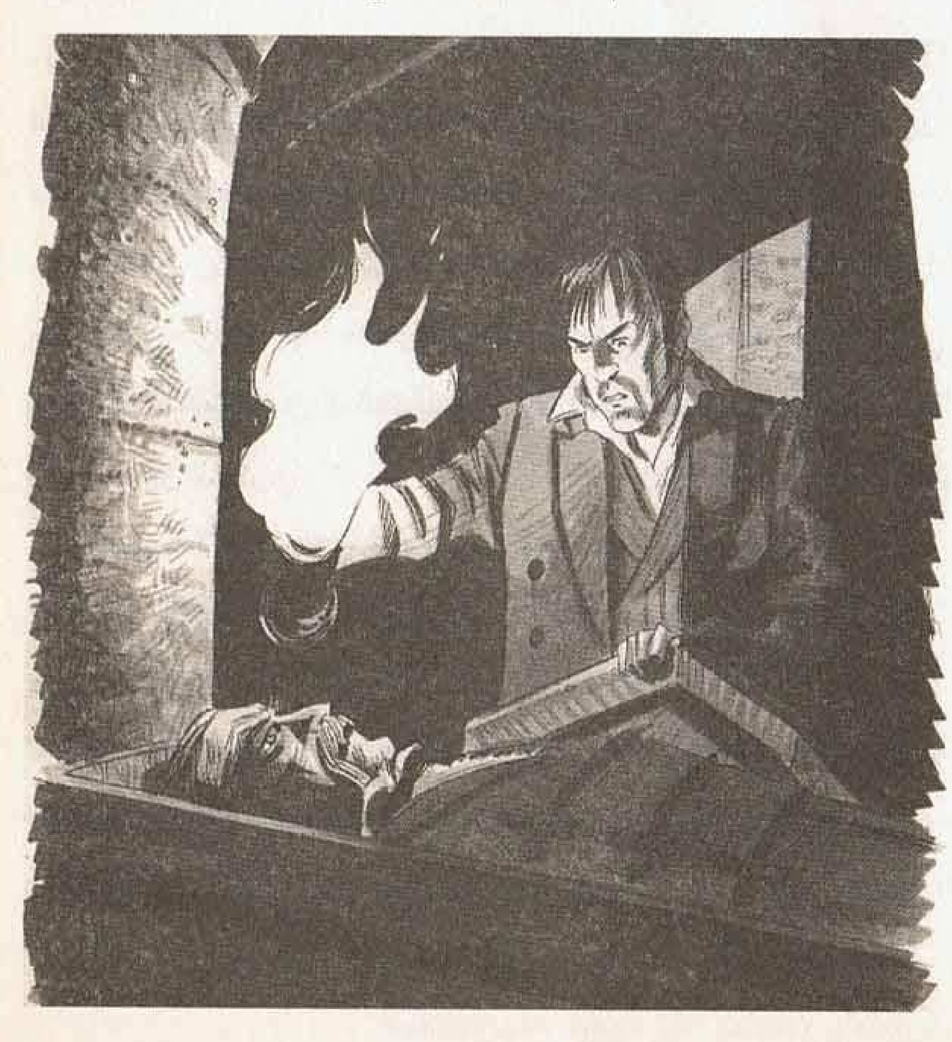
29 حزيران/يونيو

فيما كنت أَسْتَعِدّ للخُلودِ إلى النَّوْمِ، سَمِعْتُ أصْواتاً تَتَهامَس خَلْف بابي.

كان الكونْت يَهْمِسُ: "ارْجِعْنَ! ارْجِعْنَ! سيَكون لَكُنَّ في مَساءِ الغَدِ!".

رَكَضْتُ صَوْبَ البابِ وفَتَحْتُه، وهُناك كانتِ النِّساءُ الثَّلاثُ واقفاتٍ يَبْتَسِمْنَ ويَلْعَقْنَ شِفاهَهُنَّ.

ماذا يُريدون جَميعُهُم؟ هَل يَنْوون قَتْلي؟



30 حزيران/يونيو

إنَّه آخِرُ يَوْمٍ من شَهْرِ حزيران/يونيو! إنَّه اليَوْمُ الذّي يُفْتَرَضُ فيه أن أُغادِرَ قَلْعَةَ دراكولا، ولكِنَّني أعْلَم أنَّني سَأَموتُ هذه اللَّيْلَة...

قَرَّرْتُ أن أُحاوِلَ الهرب للمَرَّةِ الأخيرَةِ. فرَجَعْتُ إلى تابوتِ الكونْت لأَبحث عن المفاتيحِ. وعِنْدما فَتَحْتُ الغطاء رَأَيْت شيئاً جَعَلَني أمتلِىءُ ذُعْراً. فقد رَأَيْت الكونْت دراكولا مُمَدّداً والدَّمُ يَسيل مِن زاوِيَةِ فَمِهِ.

كان الكونْت دراكولا مَصّاصَ دِماءٍ! لَكَم كَرِهْتُه! كان هذا المَخْلوقُ سَيَنْتَقِل للعَيْشِ في لندن حَيْث سَيَعيش لِقُرونٍ عديدَة مُقتاتاً بالدِّماءِ ومُوَسِّعاً نِطاق مَصّاصي الدِّماءِ التّابِعين لَهُ.

لا أَقْدِرُ أن أَسْمَحَ لمِثْلِ هَذا الوَحْش بأن يَعيش. فأَمْسَكتُ مِجْرَفَةً وَضَرَبْتُهُ بها. فَتَحرَّك رَأْسُهُ الفَظيع ونَظَر مُباشَرَةً نَحْوي بِعَيْنَيْه الحَمْراوَيْن المُلْتَهِبَتَيْنِ، ثُمَّ أُغْلِقَ الغِطاءُ فَوْقَهُ حاجِباً الكونْت عَن ناظِري.

رَكَضْتُ لأَخْتَبِئ. وبَعْدَها بفَتْرَةٍ قَصيرةٍ اسْتَطَعْت أن أَسْمَعَ التَّوابيتَ كُلَّها تَتَحرَّكُ. وفيما بَعْد رَأَيْتُ مِن نافِذَتي أنَّها تُنْقَلُ على عَرَبَةٍ.

إنَّني الآن وَحْدي مع تِلْك النِّساءِ الشِّرِّيراتِ، مصّاصات دماء الكونْت دراكولا. سَأُحاوِل الهرب مُجَدّداً قبل حُلولِ الظَّلامِ وَقبل أن يَسْتَيْقِظْن ويَجِئْن للبَحْثِ عَنّي: سَأُحاوِلُ النُّزولَ على جُدرانِ القَلْعَةِ.

الفصل الثاني

دَفْتَر يَوْمِيّات مينا موراي: رُعْبٌ في يورْكشير

24 تموز/يوليو في ويتْباي في يورْكشير

إنَّها بُقْعَةٌ رائِعَة لتَمْضِيَةِ العُطْلَة مع صَديقَتي العَزيزَة لوسي وأُمِّها. لَقَد وَجَدْنا مكاناً مُحَبَّباً للتَّنَزُّه في باحَةِ كَنيسَةٍ بالقُرْبِ من بَقايا دَيْر ويتْباي، ومِن هُناك نَسْتَطيع أن نَنْظُرَ إلى المَدينَةِ وميناَئِها.

لقَد أنْساني هذا المكانُ جوناثان. فَقد مَرَّتْ أسابيعُ عديدَةٌ مُنْذ أن غادَرَ لنْدن لرُؤْيَةِ الكونْت دراكولا، ولَم تَصِلْني منهُ أيَّةُ رِسالَةٍ بُعَيْدَ وصوله إلى قَلْعَة ذَلِك الكونْت.

26 تموز/يوليو

إنَّني قَلِقَةٌ للغايَةِ على جوناثان. لقد بَعَثَ لي برِسالَةٍ يَعودُ تاريخُها إلى نِهايَةِ شَهْرِ حزيران / يونيو يُخْبِرُني فيها بأنَّه سَيُغادِرُ قَلْعَةَ دراكولا في اليَوْمِ التّالي، ولَقَد كان ذَلِكَ مُنْذُ شَهْرٍ تَقْريباً، فَأَيْنَ هُوَ؟

إنَّني قَلِقَةٌ أيضاً على لوسي العَزيزَة. فَلَقَد بَدَأَت تسيرُ في نَوْمِها وأَوْصَتْني والِدَتُها بِأَن أوصِدَ باب غُرْفَتِها.

6 آب/أغسطس

لوسي ضَجِرَةٌ جداً رُبَّما بِسَبَبِ عاصِفَةٍ تَتَجمَّعُ في الأُفُقِ، فَالغُيومُ قَد تَراكَمَتْ كَصُخورٍ ضَخْمَةٍ، وكان هُناك سَفينَةٌ روسِيَّةٌ في البَحْرِ تصارِعُ للوصولِ إلى الميناءِ.

8 آب/أغسطس

لَقَد رَأَيْنا أَعْظَمَ عاصِفَةٍ أُعْلِنَ عَنْها في ويتْباي، وَكَذَلِك زادَت الأَخْطارُ عِنْدَما انْجَرَفَ الضَّبابُ الكَثيفُ مِن البَحْرِ نَحْوَ اليابِسَةِ. كانَت السَّماءُ تَهْتَزُّ بِتأثيرِ صَوْتِ الرَّعْدِ الهادِرِ والبَحْرُ يَرْتَفِعُ عالِياً وَكأَنَّه جَبَلٌ. تَمَكَّنَتِ السَّفينَةُ الرّوسِيَّةُ من دُخولِ الميناءِ وَلَكِنَّها كانت خالِيَةً باسْتِثْناءِ رَجُلٍ مَيِّت كان مَرْبوطاً إلى مِقْوَدِ الدَّفَّة، وعِنْدَما لَمَستِ السَّفينَةُ حافَّةَ الميناءِ شاهَدَ النّاسُ كَلْباً ضَخْماً يَقْفِزُ مِنْها ويجري بعدها نَحْوَ المُنْحَدَراتِ الشّاهِقَةِ قبل أن يختَفِيَ في الظَّلامِ. يا لَها من قِصَّةٍ غَريبَةٍ!

قيلَ إنّ السَّفينَةَ تَحْوي شُحْنَةً تَتَألَّف من خمسين صُنْدوقاً مُرْسَلَةً إلى عُنْوانٍ في لنْدن.

11 آب/أغسطس

إنَّها الثّالِثَةُ صَباحاً، وَلَكِن يَنْبَغي أن أَكْتُبَ عَن هَذهِ الأَحْداثِ الغَريبَةِ، فأنا قَلِقَةٌ كَثيراً لِدَرَجَةٍ تَمْنَعُني من النَّوْمِ. لَقد نِمْتُ بَعْدَ

السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ مَساءَ البارِحَةِ وَلَكِنَّني اسْتَيْقَظْتُ بَعْدَ ساعَتَيْن، كُنْتُ خائِفَةً ولَم تَكُن لوسي مَوْجودَةً.

نَزَلْتُ إلى الطابَقِ الأرضيِّ بِسُرْعَةٍ وَبَحَثْتُ عَنْها في كُلِّ مَكان. وعِنْدَما دَقَّتِ السّاعَةُ لِتُعْلِنَ أنَّها الواحِدَةُ هُرِعْتُ إلى الشّارِعِ وبَحَثْتُ عنها عِنْدَ مقْعَدِنا المُفَضَّلِ في باحَةِ الكَنيسَةِ. عِنْدَما انْقَشَعَتِ الغُيومُ رَأَيْتُ حِزاماً مِن الضَّوْءِ يَتَحَرَّكُ عَبْرَ الباحَةِ، وهُناك على المَقْعَدِ كان شَخْصٌ ما بِثِيابِ نَوْمٍ بَيْضاء يَتَّكِيءُ للخَلْف. في تلك اللَّحظةِ مَرَّتْ سَحابَةٌ حَجَبَتِ القَمَرَ ولكِنَّني مُتأكِّدَةٌ من أنَّني رَأَيْتُ شَيْئاً أَسْوَد يَنْحَني فَوْقَ الشيءِ الأَبْيَض.

رَكَضْتُ في أنْحاءِ المَكانِ وأنا أُنادي: "لوسي! لوسي!" ثُمّ تَحَرَّكَ شَيْءٌ ما ورفَعَ رأْسَهُ ونظرَ إليَّ بِعَيْنَيْن مومِضَتَيْن حَمْراوَيْن. لم تُجِبْ لوسي. رَكَضْتُ نَحْوَ باحَةِ الكَنيسَةِ حتى المَقْعَد، وهُناك وَجَدْتُ لوسي وَحيدَةً نائِمَةً إلاّ أن تَنَفُّسَها كان ثَقيلاً.

وَبِسُرْعَةٍ أَحَطْتُها بشالي، ولا بُدّ أنّني وَخَزْتُ حَلْقَها بِدَبّوسِ ذَلِكَ الشّالِ لأنَّها حِينَما أَخْلَدَت للنَّوْمِ لاحَظْتُ بُقْعَتَيْن عَلى رَقَبَتِها تشبهان وَخْزَةَ الدَّبوسِ، وكَذَلِك كان هُناك أيضاً بُقْعَةٌ من الدَّم على ثِيابِ نَوْمِها.

14 آب/أغسطس

وَفيما كُنّا نُغادِرُ مقْعَدَنا المُفَضَّلَ قُرْبَ الكَنيسَةِ والشَّمْسُ تَغيبُ، بَدَأت لوسي تتصرَّفُ بِغَرابَةٍ. فَلَقد أَصْبَحَ وَجْهُها حالِماً وهي تَنْظُرُ إلى الخَلْفِ، وكنتُ مُتَأَكِّدَةً مِن أنّ هُناك شَيْئاً أسودَ جالِساً هُناك.

هَمَسَت لوسي: "عَيْناه الحمْراوان مُجدّداً! وهُما ما زالا على حالِهما تماماً".

17 آب/أغسطس

لوسي ليْسَت على ما يُرام. فَوجْهُها شاحِبٌ للغايَةِ وتبدو ضعيفةً. وفي الليْلِ أسْمَعُها تلْهَثُ طلَباً للهواءِ، أمّا أنا فأُبْقي بابَ غُرْفَة نَوْمي موصَداً كلَّ ليْلَةٍ وأرْبطُ المِفتاحَ برُسْغي. وهَذِهِ اللّيْلَة رَأيْتُها تنْحَني نَحْوَ نافِذَتي المفْتوحَة ولاحَظْتُ بأنّ البُقْعَتَيْنِ الصَّغيرتَيْنِ على رَقَبَتِها لم تُشْفَيا، بل بَدَتا أكْبَر حَجْماً مِن قَبْل.

19 آب/أغسطس

وَأخيراً! هُناك أخْبار عن جوناثان بأنّه في مُسْتَشْفى في بودابِسْت! لَقد وَصَلَ إلى هُناك مُنْذ سِتَّة أسابيع بالقطار، ولا يزالُ مَريضاً للغايَةِ بحيثُ لا يستطيعُ السَّفَر. ولِذَلك أنا ذاهِبَةٌ لأكون مَعَهُ.

24 آب/أغسطس

إنَّني مع جوناثان أخيراً، وَلَكِنَّه ضَعيفٌ وهَزيلٌ للغايَةِ لِدَرجَةِ أنَّني لم أسْتَطِعِ التعرُّفَ إليه. إنه لا يَتَذَكَّر أيَّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ وَلَكِنَّه يَتحَدَّثُ عَلى الدَّوامِ عَن أشْباحٍ وشَرَيينَ ودِماءٍ، وَأسْتَطيع أن أجْزِمَ أنّه قد مرّ بِصَدْمَةٍ قَويَّةٍ رَهيبَةٍ.

إنَّه يتَذكَّرُ أنَّه كتَبَ مُذكراته وهُو على يَقينٍ من أنَّها تضمُّ سِراً رَهيباً. ولكِنَّه لا يُريدُني أن أقْرَأها، فهُو يُريد نِسْيانَ ما حدَثَ لَه ويُريدُ أن يبدأ حَياته مِن جَديدٍ. ولِهذا السَّبَب سَنَتزَوَّج عصْرَ هذا اليَوْم.

الفصل الثالث

مُذكّرات الدُّكتور سيوارد:
لَعْنَةُ مَصّاص الدِّماءِ

31 آب/أغسطس

طَلَبَ مِنّي آرْثر هولْموود، وهو الشخصُ الّذي سَيَتزَوَّج مِن لوسي ويسْتينرا في أواخرِ شَهْرِ أيْلول/ سِبْتَمْبَر، أن أراها وأفْحَصَها لأنَّها لَيْسَت عَلى ما يُرام.

2 أيلول/سبتمبر

فَحَصْتُ لوسي ويسْتينرا البارِحَة ولَم أجِدْ بِها أيَّة عَلاماتٍ مَرَضِيَّةٍ، وَلكِنَّني لَمْ أكُن راضِياً عَن شَكْلِها الخارِجيّ. فقد تغَيَّرَتْ كثيراً مُنْذُ أن الْتَقَيْنا في المرَّةِ الأخيرة. وهِيَ شاحِبَةٌ جداً وتَنَفُّسُها صافِرٌ وثَقيلٌ نَوْعاً ما كما أنَّها تَشْكو من أحْلامٍ مُزْعِجَةٍ تسبِّبُ لها الذُّعر ولَكِنَّها لا تَتَذَكَّرُها في الصَّباح.

لَقد كَتَبْتُ إلى صَديقي البروفسور فان هيلْسينْغ في هولَنْدا وطلبتُ مِنْهُ أن يفحصَ لوسي عَلى الفَوْرِ. فَهُوَ يَعْلَمُ أكْثَرَ مِن أيِّ شَخْصٍ في العالَمِ عَن الأمْراضِ الغَريبَةِ غَيْر الاعْتيادِيَّة.

3 أيلول/سبتمبر

جاءَ فان هيلْسينغ وغادر، وهُوَ قَلِقٌ أيْضاً على لوسي.

قال لي: "لقد فقدَتِ الكثيرَ مِنَ الدِّماءِ، وهِي مَسْأَلَةُ حياةٍ أو مَوْتٍ".

7 أيلول/سبتمبر

ازْدادَت أعْراضُ لوسي سوءاً وجاء فان هيلْسينغ مرَّةً أُخْرى. ولَقَد صُدِمْنا عِنْدما رَأَيْناها اليَوْمَ. فَقَد كانت بَيْضاءَ كالطَّبشورِ. حتَّى إنَّ شَفَتَيْها وَلِثَتها كانت بَيْضاءَ. وقد نتأَتْ عِظامُ وَجْهِها ولَم تكُن لوسي تَمْلُك القُوَّةَ للتَّحرُّكِ أو التحدُّث.

قالَ هيلْسينغ: "سَوْف تموتُ إنْ لم نُعْطِها دَماً في الحال!"

وفيما كُنّا نتكلَّمُ وَصلَ آرْثر وَوافقَ على التَّبرُّعِ للوسي ببَعْضٍ من دَمِهِ. أجرى فان هيلْسينغ عمليَّةَ نَقْلِ الدَّم بإتْقانٍ وسُرْعَةٍ. وما لَبِثَتِ الحياةُ أنْ عادَت لِوَجْنَتَي لوسي وتَوَرَّدَتا. ولكِن خِلال هَذِهِ العَمليَّةِ انْزَلَقَ الشَّريطُ الأسْوَدُ الذي كانت لوسي تَرْتَديه حَوْلَ عُنُقِها. ثُمَّ سَمِعْتُ فان هيلْسينغ يَشْهَقُ وهُوَ يُحدِّقُ بالعَلامَتَيْنِ الحَمْراوَيْنِ على رَقَبتِها. وعِنْدما أخلدَت لوسي للنَّوْمِ ذَكَرْتُ هذا الأمْرَ سائِلاً:

"ماذا تظُنُّ بخصوص تِلْكَ العَلامات على رَقَبتِها؟"

أجابَ هيلْسينغ: "لا أَظُنُّ شيْئاً، حتى الآن على الأقلّ. ولَكِنَّني أُريدُك أن تَبْقى مَعَ الآنِسَة ويستينرا طوال اللَّيْل. يَجِب أن لا تَتْرُكَ وَحْدَها. سأَعود في أقْرَبِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ وعِنْدَها يُمْكِنُنا أن نَبْدأ".

سَأَلْتُ بدَهْشَةٍ: "ماذا تَعْني؟"

قالَ فيما هُوَ يُغادِر بعَجلَةٍ: "سَوْف نرى".

10 أيلول/سبتمبر

بقيتُ أراقِبُ لوسي طوالَ اليَوْمَيْنِ الماضِيَيْن. لَم تُعاوِدْها الأحْلامُ المزْعِجَةُ وعادَ التَّوَرُّدُ إلى وَجْنَتَيْها وعادت تَقْريباً إلى ما كانت عليه سابِقاً. كُنْتُ مُتْعَباً للغايَةِ وجعَلَتْني لوسي أعِدُها بأنْ أسْتَلْقي على الأريكةِ خارِجَ غُرْفَتها. فَقُمْتُ بما طلبت، ورُحْتُ على الفَوْرِ في سُباتٍ عَميقٍ.

استفقتُ هَذا الصَّباح على يَدٍ توضَعُ على كَتِفي. والبروفسور يسَأَلُني: "كَيْفَ هِي حال مَريضَتنا؟"

قُلْتُ لَه: "كانَت بِخَيْرٍ عِنْدما غادَرْتُ".

ثُمَّ دَخَلْنا معاً إلى غُرْفَةِ لوسي. وفيما كُنْتُ أَسْحَبُ السَّتائِرَ للأعْلى شَهِقَ صَديقي بذُعرٍ شَديدٍ وأشارَ إلى السَّريرِ شاحِباً. اصْطكَّتْ رُكْبَتايَ رُعْباً فقد كانت المِسْكينَةُ لوسي مستلقيةً على السرير وهي تبدو شاحِبَةً أكْثَر من ذِي قبل وبدَت لِثَتُها بعيدَةً عن أسْنانِها.

صَرَخَ البروفسور: "ما زال قَلْبُها يَنْبِضُ ولَكِنْ بِشَكْلٍ ضَعيفٍ، يَجِب أن نُعطِيَها دَماً حالاً!"

11 أيلول/سبتمبر

كانت لوسي أفْضَلَ حالاً بِكَثيرٍ بَعْدَ العَمَليَّةِ الثّانِيَةِ لِنَقْلِ الدَّم، وما إنْ وَصَلْتُ لِزيارَتِها حَتّى أتى طَرْدٌ كَبيرٌ مِن الخارجِ مُوجَّهاً للبروفسور وَكان بداخِلِه باقةٌ مِن الزُّهور.

قالَ البروفسور: "هَذِهِ لكِ يا لوسي، ولكِنَّها لَيْسَت للمَرَحِ، إنَّما

سَأَصْنَعُ مِنْها عِقْدَيْن، واحِدٌ تعلِّقينه على نافِذَتِكِ والثاني تَضَعينَهُ حَوْل عُنقك عِنْدما تنامين".

تناوَلت لوسي الأزْهارَ وشَمَّتْها ثُمّ قالت بِقَرَف: "ثوم!"

صارَ وَجْه فان هيلْسينخ أكْثَر جِدِّيَّة وقالَ: "لا تَمْزَحي يا آنِستي، فَهَذا لِصالِحِكِ".

أخذت أراقِبُ ما يَقومُ بِهِ صَديقي بِدَهْشَةٍ كَبيرة. أخذ يفْرِكُ النَّافِذَةَ والأبْوابَ والمِدْخَنَةَ وجميعَ الأمكنةِ بِأَزْهارِ الثوم. وعِنْدما أرادت لوسي أن تَخْلُدَ إلى النَّوْمِ وَضَعَ عِقْداً مِن أزْهارِ الثُّومِ حَوْلَ عُنقها وقالَ لَها: "لا تَخْلَعيه ولا تَفْتَحي نافِذَتَكِ أو بابَكِ، أتَعدينني بِذَلِك؟"

قالَت لوسي: "أَعِدُك".

13 أيلول/سبتمبر

زُرْنا لوسي أنا والبروفسور هَذا الصَّباح وأخْبَرَتْنا أمُّها أنَّها ما زالت نائِمَةً. فَهَتَفَ البروفسور: "آه، إن عِلاجي يُعْطي مَفْعولاً!"

قالَت لَه والِدَة لوسي: "الفَضْلُ كُلُّهُ ليس لكَ، فعِنْدما دَخَلْتُ غُرْفَتَها وهِيَ نائِمَةٌ كانت رائِحَةُ الغُرْفَةِ كَريهَةً للغايَة. فَفَتَحْتُ النَّافِذَةَ لأُدْخِل بَعْضاً مِن الهَواءِ النَّقيّ".

اسْوَدَّ وَجْهُ البروفسور لدى سَماعِه هذه الكلمات، وعِنْدما ذَهَبَتْ والِدَةُ لوسي بكى بِحُرْقَةٍ كَطِفْلٍ صَغير. وهُرِعْنا إلى غُرْفَةِ لوسي.

وهَذِهِ المَرَّة لَم يَشْهَق البروفسور عندما شاهَدَ لوسي مُمَدَّدَةً شاحِبَةً في سَريرِها، بَل تَمْتَم: "تماماً كما توَقَّعْتُ!"

ولَم يَتَفَوَّهْ بالمَزيدِ، وبَدَأَ بِنَقْلِ الدّم إلى عُروقِها. وبَعْدَ ذلِكَ بِساعَةٍ اسْتَيْقَظَتْ لوسي نَضِرَةً ومُشْرِقَةً بَعيدَةً كُلَّ البُعْدِ عَن مُصابِها الفَظيع.

ماذا حدث؟ كنت أعْلَمُ أنّ البروفسور سَيُخْبِرني عِنْدما يكون مُسْتَعِدّاً. لَقَد ذَهَبَ إلى هولندا وتركني هنا أُراقِب وأنْتَظِر.

وفي كُلِّ يَوْمٍ كان طَرْدٌ مِن الثُّومِ الطَّازَجِ يصلُ إلى لوسي.

18 أيلول/سبتمبر

اسْتَلَمْتُ هَذِهِ البَرْقِيَّةَ مِن هولَنْدا ولَكِنَّها جاءَت مُتَأَخِّرَةً 22 ساعة:

17 أيلول/سبتمبر

جون، لا تُقَصِّرْ في حِراسَةِ الآنِسَة ويستينرا هذه اللَّيْلَة. الأمْرُ في غايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، لا تُقَصِّر. أنا في طَريقي إليك.

البروفسور فان هيلسينخ.

أَسْرَعْتُ إلى بَيْتِ الآنِسَةِ ويستينرا على الفَوْرِ والتقيتُ البروفسور عَلى عَتَبَةِ البابِ الأماميَّة. كان السُّكونُ يُخَيِّمُ على المَنْزِلِ ولَم يُجِبْ أحَدٌ على قَرْعِ الجَرَس.

قالَ البروفسور: "أَخْشى أنَّنا قَد جِئْنا مُتأخِّرين!"

الفصل الرابع

مُذَكّرات الدّكتور سيوارد:

مَوْتُ لوسي

18 أيلول/سبتمبر

دَخلْنا إلى المَنْزِلِ بالقُوَّةِ فَوَجَدْنا أَرْبَعَةً من الخدم فاقدي الوَعْي في المَطْبَخِ، وعِنْدَما اقْتَرَبْنا من غُرْفَةِ لوسي فَتَحْنا البابَ بأيدٍ مُرْتَعِشَةٍ.

كَيْفَ أَسْتَطيعُ أن أَبْدَأَ بِوَصْفِ ما رَأَيْنا؟ كانتِ امْرَأَتانِ ممدَّدتَيْنِ علَى السَّرير، لوسي ووالِدَتها، وكانَ الفَزَعُ يَعْلو وَجْهَ الوالِدَةِ وقد ارْتَدَتْ عِقْدَ لوسي حَوْلَ رَقبَتِها. أمّا لوسي فَقد بانَ على رَقَبَتِها جُرْحَانِ صَغيرَان. وهُرِعَ البروفسور لِرُؤْيَتِهِما فَوَجَدَ السَّيِّدَة ويستينرا مَيِّتَةً ثم أخذ يَسْتَمِعُ إلى دَقّاتِ قَلْبِ لوسي.

صَرَخَ البروفسور: "إنّها بالكاد تَتَنَفَّس، ولَكِنَّها سَتَموتُ في غُضونِ ساعَةٍ إن لَم نُعْطِها دَماً".

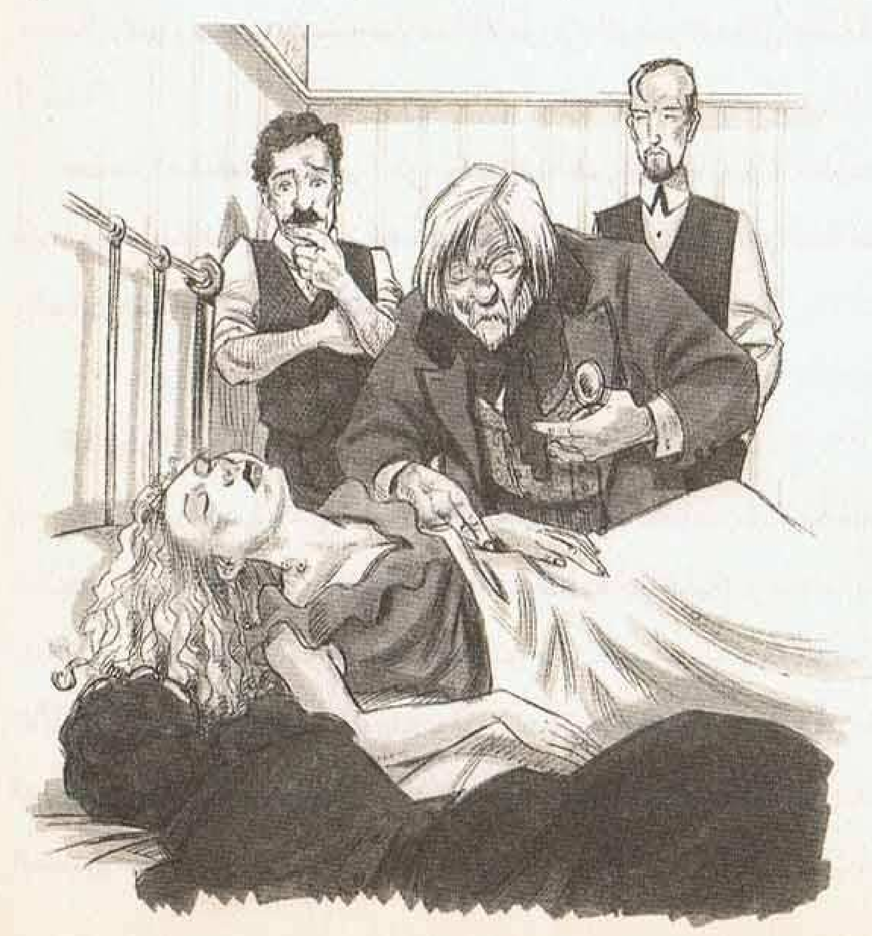
بَقِيَت لوسي فاقِدَةَ الوَعْي فيما كُنّا نُكافِح لإبْقائِها حَيَّةً. وعِنْدَما انْتَهَيْنا مِن عملية نَقْلِ الدم ناوَلَني البروفسور وَرَقَةً كانت قد وَقَعَت مِن ثَوْبِ نَوْمِها. وفيما كُنْتُ أَقْرَأُ الرِّسالَةَ كان الفَزَعُ يَتَصاعَدُ في داخِلي:

17 أيلول/سبتمبر، مساءً

هذا تَدْوينٌ لِما حَدَثَ اليَوْمَ بالضَّبْطِ. أَشْعُرُ أنَّني أَحْتَضِر.

ذهبتُ إلى النَّوْمِ بِسُرْعَةٍ وأيقَظَني صَوْتُ رَفْرَفَةٍ خَلْفَ النّافِذَة. وكان هذا الأمْرُ قد حدَثَ كثيراً مُنْذُ أن كنت أتمشّى في مُنْحَدَرات ويتْباي. وتَساءَلْتُ لِماذا الدكتور سيوارد لَيْسَ هُنا؟ ثُمَّ سَمِعْتُ كَلْباً يَنْبَحُ في الحَديقَةِ، فاقْتَرَبْتُ من النّافِذَةِ ورَأَيْتُ خُفّاشاً ضَخْماً. أما والدتي التي سمعت وقعَ خطواتي فقد أتَتْ لرؤيتي.

فَجْأَةً، حدَثَ ارْتِطامٌ قَوِيٌّ على النّافِذَةِ وتَطايرَ الزُّجاجُ في كُلِّ مكانٍ. ونظَرْتُ إلى الثُّقْبِ في النّافِذَةِ فإذ بي أرى رأسَ ذِئْبٍ رَماديٍّ.



صَرَخت والِدتي ومزَّقَتِ العِقْدَ حوْلَ عُنقي وبعْدَها سَقطَت أرْضاً.

أبْقيْتُ عَيْناي مُثْبتَتيْن على النّافِذةِ، وهرعَ الخدمُ لسماعِهم الصَّوْتَ ثمَّ وَضعوا والِدتي على السَّرير. وعقْبَ ذلك طلَبْتُ منْهم أن يُحضِروا القليلَ من الشراب فذَهبوا ولم يعودوا ووجدْتُهم كلَّهم مُخدَّرين.

إنني الآن وَحيدَةٌ، وَحيدةٌ مع والِدتي الميتّة! أستطيعُ سماعَ عُواء الذِّئْبِ عبْرَ الزُّجاجِ المكْسور. ماذا سيَحدُثُ لي؟ الوداع يا عزيزي آرْثر، فأنا سأموتُ الليْلَة.

بعْدَ قراءةِ الورَقة سألتُ: "ماذا يعْني كلّ هذا؟ هل هي مَجْنونَةٌ؟"

قالَ البروفسور: "دعْكَ من هذا الأمْر في الوقْتِ الحاليّ وسأُخْبِرك لاحِقاً".

عِنْدما استَيْقظَتْ لوسي في وَقْتٍ مُتأخِّرٍ من الظَّهيرةِ نَظرت في أرْجاءِ الغرْفةِ ثمَّ بَدأَت تَرْتَجِفُ وأَجْهشَتْ بالبُكاءِ. كانت واهِنَةَ القُوى وأخذت تَنوحُ بِصوْتٍ مُنْخَفِضٍ لِوقْتٍ طويل.

19 أيلول/سبتمبر

بقينا نراقبُ لوسي طيلةَ اللّيْلِ ولكِنّها كانت خائِفةً لدَرجةٍ تَمْنعُها من النّوْمَ. وفي الصباحِ كانت ضعيفةً للغايةِ، وعِنْدما نامت خِلالَ النّهارِ بانَ من فَمِها المفْتوحِ لِثَةٌ شاحِبةٌ مُتراجِعَةٌ عن الأسْنانِ وبدَت أسْنانُها طويلةً وأكثر حدَّةً من قبْل. وفيما بعْد طلبَت أن ترى آرْثر الذي وَصلَ عِنْد السّاعةِ السّادِسةِ، تماماً عند غروبِ الشمْس.

20 أيلول/سبتمبر

ساءَتْ حالةُ لوسي في اللّيْلِ وازْدادت أسْنانُها طولاً وحِدَّةً، وبِخاصَّةٍ الأسْنانُ الجانِبيَّة في الفكِّ العُلْويِّ.

كانَ القمَرُ بَدْراً ومكْتمِلَ الاستِدارَةِ فرأيْتُ خُفّاشاً يُرفرِف على حافَّةِ النّافِذةِ. ثُمَّ تحرَّكت لوسي وهي نائِمة ومزَّقَتْ عقدَ الثُّومِ من حوْلِ عنقِها، إلاّ أنّني أعدْتُ وَضْعَهُ. وكانت لوسي كُلَّما استفاقَت ضغطَت عقد الزُّهورِ على وَجْهِها.

عِنْدما دخَلَ البروفسور الغُرْفَةَ فجْراً ورأى وَجْهَ لوسي أخَذَ نَفساً عَميقاً قويّاً وانْحنى لِرؤْيةِ رقبتِها. ثمَّ همَسَ بعْدَ ذلِك:

"اختَفتِ الجُروحُ عن حلْقِها. إنَّها تحْتَضِرُ ولن يطولَ الأمْرُ، أحْضِرْ آرْثر ليَراها".

عِنْدما دخَلَ آرْثر إلى الغُرْفةِ، فتَحت لوسي عَيْنَيْها وابتَسمَت له بِمحبَّة، وفَجْأةً قوِيَ نَفَسُها وفتحَ فمُها وتراجعَت لِثَتُها الشّاحِبَةُ بعيداً عن أسْنانِها الّتي بَدت أطْول وأكْثرَ حِدَّةً، ثُمَّ أخذت تتكلَّمُ بِصَوْتٍ لم أسْمَعْهُ من قبْل مُتَمْتِمَةً:

"آرْثر قبِّلْني!"

انْحنى آرْثر فوْقَها، ولكِن فان هيلسينخ الذي جفَلَ من صَوْتِ لوسي دفَعَهُ بَعيداً عنْها بِكِلْتَي يدَيْه صارِخاً:

"لا! لا!"

مرَّتْ مَوْجَةٌ من الغضَبِ على وَجْهِ لوسي وأطْبقَت على أسْنانِها الحادَّةِ وأغلَقت عيْنَيْها. وبعْدَ ذلك بِفتْرةٍ وَجيزةٍ فتَحت لوسي عيْنَيْها وأخذَت يدَ فان هيلسينخ بيْن يدَيْها وهمَسَت:

"اعْتَنِ بِآرْثر يا صَديقي الوَفِيّ وطَمْئِنْهُ".

هَمَسَ البروفسور قائلاً: "أَعِدُكِ بِذَلِك".

ثُمَّ اسْتدارَ نَحْوَ آرْثر وقالَ لَهُ: "أَمْسِك يَدَيْها وقُم بِتَقْبيلِها على جَبينِها فَقَط وَلِمَرَّةٍ واحِدَةٍ".

تلاقَت عَيْناهُما بَدَلاً مِن شَفَتَيْهِما وبَعْدَها أغْلَقَتْ لوسي عَيْنَيْها، ثُمَّ أخَذَ فان هيلْسينغ آرْثر مِن ذِراعِهِ وقادَهُ إلى الخارِجِ قائِلاً: "لَقَد ماتَت، لَقد انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ".

أكون بِذَلِك قد انْتَهَيْت مِن تَدْوينِ مُذَكَّراتي الحَزينَة، ولَن أَبْدَأ بِكِتابَةِ غَيْرِها أَبَداً.

الفصل الخامس

دَفْتَرُ يَوْمِيّاتِ مينا هارْكِر: عَوْدَةُ الكونْت دراكولا

22 أيلول/سبتمبر

كُنْتُ أمْشي مَعَ جوناثان هَذا الصَّباح في لَنْدن قُرْبَ البيكادِيلي عِنْدَما شَعَرْتُ بِهِ يَتَشَبَّثُ بِذِراعي بِقُوَّةٍ، وقالَ وهُوَ يَلْتَقِطُ أنْفاسَهُ: "يا إلهي!".

شَعَرْتُ بِقَلَقٍ شَديدٍ. وأنا على الدَّوامِ أشْعُرُ بِذَلِكَ مُنْذُ مَرَضِهِ في بِدايَةِ هذا العام.

فسَأَلْتُهُ: "ما الخَطْبُ يا عَزيزي؟"

كانَ وَجْهُهُ شاحِباً لِلغايَةِ وبَرَزَت عَيْناه فَزَعاً ودَهْشَةً. وكان يُحَدِّقُ في رَجُلٍ نَحيلٍ وطَويل، ذي أَنْفٍ عَريض وشارِبٍ أسْوَد ولِحْيَةٍ مُسْتَدِقَّة. وكان هَذا الرَّجُلُ يَتَأَمَّلُ بِدِقَّةٍ فَتاةً جَميلَةً تَمْشي في الشّارِعِ فَلَمْ يَرَنا.



وَبِدَوْري حَدَّقْتُ في الرَّجُلِ فَسَرَتْ رَعْشَةٌ في

داخلي. كم كانَ وَجْهُهُ خَشِناً وقاسِياً! وشَفَتاهُ حَمْراوَيْن بَرّاقَتَيْن وأسْنانُهُ ناصِعَةَ البَياضِ ومُسْتَدِقَّةً كالحيَوانات.

سَأَلْتُ جوناثان ثانِيَةً: "ما الخَطْب؟"

قالَ جوناثان: "ألا تَعْرِفينه؟" ولَم يكُفَّ عَن النَّظَرِ في وَجْهِ الرَّجُل.

قُلْتُ برِقَّةٍ: "لا يا عَزيزي، مَن يكون؟"

هَمَسَ زَوْجي: "إنَّهُ الرَّجُلُ نَفْسُهُ، وهُنا في البيكاديلّي!"

ثُمّ قالَ وهو مَذْعورٌ للغايَةِ:

"إنَّه الكونْت دراكولا، وَلَكِنَّهُ شابٌّ، يا إلَهي، لو أنَّني كنت أعلم. أيُعْقَل أن يكون هُوَ؟"

تَوَغَّلْنا أكْثَر في مَشْيِنا ثُمَّ جلَسْنا في الحَديقَةِ، ثم غفا جوناثان لِمُدَّةِ خمس عشرة دقيقة عادَ بَعْدَها نضِراً مَرِحاً مِن جَديدٍ ولَم يعد يَذْكُرُ ذَلِك الغريب مُجدّداً. وكانَ الأمْرُ كَذَلِكَ بالنِّسْبَةِ لي فقد نَسيتهُ كُلِّيّاً حين وصلنا المَنْزِل، إذ كان هناك خَبَرٌ سيِّىءٌ بانْتِظارِنا.

كانت قد وَصَلَت بَرْقِيَّةٌ مِن غَريبٍ يُدْعى فان هيلسينغ يُخْبِرُنا فِيها بِأنَّ صَديقَتي الغالِيَةَ العَزيزَةَ لوسي قد تُوُفِّيَت، وكَذَلِك والِدَتها. يا للأَسَف!

23 أيلول/سبتمبر

قَرَّرْتُ هذه اللّيْلَة أن أقرأ مُذَكّرات جوناثان في الوَقْتِ الذّي سافَرَ فيه إلى ترانْسِلفانْيا. فَلَقد كُنْتُ قَلِقَةً لِتَصَرُّفاتِهِ البارِحَةَ وأُريدُ أن أُساعِدَه إذا اسْتَطَعْت.

هَل كان هَذا حَقيقِيّاً؟ أم إنه مِن صُنْعِ مُخَيِّلَتِه؟ هَل كانَ مَريضاً

عِنْدَما كَتَبَ كُلَّ هَذِهِ الأَشْياء الرَّهيبَة؟ أَعْلَمُ أنّ جُزْءاً واحِداً كان صَحيحاً وهَي أنّ الكونْت دراكولا كان يَنْوي شِراءَ مَنْزِلٍ في لنْدن.

25 أيلول/سبتمبر

جاءَ البروفسور فان هيلسينغ لِزِيارَتي اليَوْمَ، وكَم كان اللِّقاءُ غريباً! الأفْكارُ تدور في رَأسي دون انقطاع!

وعِنْدَ وُصولِهِ قالَ لي: "لَقَد قَرَأتُ رَسائِلَكِ إلى العَزيزَةِ الآنِسَة لوسي. اعذُريني وَلَكِن يَتَوجَّبُ عَلَيّ أن أَعْلَم ما الذّي حدَثَ للآنِسَةِ لوسي في ويتْباي، هَل تَذْكُرين؟"

قُلْتُ لَهُ: "لَقَد دَوَّنْتُ كُلَّ شَيْءٍ، ويُمْكِنُكَ قِراءَتَها إنْ أَرَدْتَ"، ثُمّ أَعْطَيْته مُذَكّراتي فقَرَأها حتّى النِّهايَة بِصَمْتٍ تامٍّ.

ثم قالَ أخيراً: "هَذِهِ المُذَكّرات كَأَشِعَّةِ الشَّمْسِ تُلْقي الضَّوْءَ على الكَثيرِ مِن الأُمورِ، وَلَكِنَّ الغُيومَ تَلفُّها".

وَفيما بَعْد أَخْبَرْتُهُ عَن الرَّجُلِ الّذي رَآهُ جوناثان في لنْدن والهَلَع الّذي أصابَهُ من جرّاء ذَلِك.

وتَوَسَّلْتُ إلَيْهِ قائِلَةً: "أَرْجوك أن تُساعِدَ زَوْجي لاستِعادَةِ عافيَتِه. يُمْكِنُكَ أن تَقْرَأَ المُذَكّرات التّي أبْقاها بِحَوْزَتِهِ في ترانْسلفانْيا إن كانَت تُفيدُ".

وافَقَ البروفسور فان هيلسينغ، وعِنْدَما انْتَهى قالَ ما انْتَظَرْتُ طَويلاً لِسماعِهِ مُنْذُ أن قَرَأتُ عَن تِلْك الأحْداثِ الرَّهيبَة: "غَريبَةٌ وَفَظيعَةٌ، وَلَكِنَّها حَقيقِيَّةٌ!"

الفصل السادس

مُذَكّرات الدّكتور سيوارد:
الحَقيقَةُ المُرَّةُ

26 أيلول/سبتمبر

مضى أُسبوعٌ واحدٌ على توَقُّفي عَن الكِتابَةِ عِنْدما ماتَت العَزيزة لوسي، وَلَكِنّي الآن أُعاودُ الكِتابَة! لَقَد أَخْبَرَني البروفسور شَيْئاً رَهيباً للغايَةِ هَذا الصَّباح.

لَقد ظَهَرَ في مُسْتَشْفايَ وَأَلْقى بِقُصاصَةٍ مِن صَحيفَةٍ أَمامي:

جَريدَة وستمنستر الرَّسْمِيَّة، **25 أيلول/سبْتَمْبر**

رُعْبٌ في هامستد

عُثِرَ هَذا الصَّباح عَلى طِفْلٍ آخَر في مَرْج هامْستد يَحْمِلُ نَفْس الجُرْح الصَّغير عَلى الحَلْقِ تَماماً كالَّذي وُجِدَ عِنْدَ الأَطْفال الآخَرين.

قُلْتُ بِحُزْن: "إنَّها كَالعَلامات التي كانَت عَلى حَلْقِ المِسْكينَة لوسي".

سَأَلَ البروفسور: "ماذا يَعْني ذلك برأيك؟ هَل تَقْصِد أن تَقول إنك لا تملِكُ أيّ فِكْرَةٍ عَن سَبَبِ وَفاةِ لوسي، حتّى بَعْدَ التَّلْميحات التي أَعْطَيْتُك إيّاها؟"

قُلْتُ لَهُ: "لَقَد ماتَت لِفِقْدانِها الكَثير مِن الدِّماءِ".

قالَ صَديقي: "أَنْتَ رَجُلٌ ذَكِيٌّ يا جون، وَلكِن هُناك أَشْياء لا تَسْتَطيع فَهْمَها. وهَذا خطأ العِلْم، فَهُوَ يُحاوِلُ تَفْسيرَ كُلّ شَيْءٍ".

سَأَلْتُه: "ما الذّي تَقولُهُ؟"

قالَ البروفسور: "هَل تَسْتَطيع أن تُخْبِرَني لِماذا توجَدُ قِصَصٌ عَن الخَفافيشِ الماصَّةِ للدِّماء في أميركا الجنوبيَّةِ والَّتي تَأْتي لَيْلاً وَتَشْرَبُ مِن دِماء الماشِيَةِ والأَحْصِنَةِ؟ هَل تَسْتَطيعُ أن تُخبِرَني لِماذا توجَدُ قِصَصٌ عَن بَحّارَةٍ اعْتادوا النَّوْمَ عَلى سَطْحِ السَّفينَةِ وَلكِنَّهم وُجِدوا وقد مُصَّت دِماؤُهُم؟"

قُلْتُ بِتَعَجُّب: "هَل تَعْني أنّ خُفّاشاً ماصّاً للدِّماء قد عضَّ لوسي هُنا في لندن وفي القَرْنِ التّاسِعِ عشَر؟"

قالَ فان هيلسينغ: "أُريدك أن تُصدِّقَ الأمور التّي تَعْجَزُ عَن تَصْديقِها".

سَأَلْته: "وَأَنْت تَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ العَلامات الصَّغيرَة على أَعْناقِ الأَطْفال قَد حَدَثَت بِنَفْسِ الشَّيْء الَّذي أَحْدَثَها للآنِسَة لوسي؟"

أَجابَ البروفسور: "للأَسَف، لا، إنَّها أَسْوَأُ بِكَثيرٍ".

سَأَلْته: "بالله عليك، ماذا تَقْصِد؟"

غَطّى البروفسور عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ فيما هُوَ يَرُدُّ عَلى سُؤالي، وَهَمَس: "لَقد أَحْدَثَتْها الآنِسَة لوسي!"

ضَرَبْتُ الطّاوِلَةَ بِقُوَّةٍ بِقَبْضَتي وَصَرَخْت: "دُكتور فان هيلسينغ، هَل أَنْت مَجْنون؟"

قالَ: "أَتَمَنّى لَو كُنْتُ كَذلِك، لَكان أَسْهل احْتِمالاً من كل ذلك. لَم أُخْبِرْكَ سابِقاً، فَقَد أَرَدْتُ إطلاعَكَ على هَذا الأَمْرِ بِرِفْقٍ. وَأنا أَعْلَمُ

مدى حبك للآنسة لوسي، حتّى إنك أملتَ بالزَّواج مِنْها قَبْل آرْثر..."

قُلْتُ له: "سامِحْني، وَما الذي سنفعله؟"

أَخرَجَ البروفسور مِفْتاحاً من جَيْبِهِ ورفَعه وَقال: "سنُمْضي اللَّيْلة في باحَةِ الكَنيسَةِ حَيْث تَرْقُد لوسي. هَذا مِفْتاح قبرها. عِنْدَئذٍ سَيَتَبيَّن لكَ أنّني أقولُ الحقيقةَ".

شَعَرْتُ بالقُنوطِ وعَلِمْتُ أنّ مِحْنَةً رَهيبَةً بانْتِظاري.

وفي ذَلِكَ المَساء تَوجَّهْنا نَحْوَ باحَةِ الكَنيسَةِ في تَمامِ السّاعَة العاشِرَة، ودَخلنا إلى مَدْفَنِ العائِلَةِ على ضَوْءِ الشُّموعِ ثُمَّ ذَهبْنا إلى تابوتِ لوسي ورَفَعْنا غِطاءَهُ ودَنَوْتُ مِنْهُ لأَنْظُر إليه.

كان تابوتُ لوسي فارِغاً.



الفصل السابع

مُذَكّرات الدّكتور سيوارد:

مَوْتُ مَصّاصِ الدِّماء

27 أيلول/سبتمبر

بَعْدَ ظَهيرَةِ هَذا اليَوْم جَعَلَني فان هيلسينخ أَذْهَبُ مُجَدَّداً إلى قَبْرِ لوسي، وفيما هُو يَفْتَحُ الغِطاءَ حَدَّقْتُ خائِفاً مِمّا يُمْكِن أن أرى. كانَت لوسي مُمَدَّدةً هُناك وكانَت تَبْدو تَماماً كَما كانَت يَوْمَ وَفاتِها.

قُلْتُ وأنا أَلْهَثُ: "هَل هَذِه خدْعَةٌ ما؟ لِماذا لَم يَتَعَفَّن جَسَدُها؟ لَقَد مَرَّ أُسْبوعٌ عَلى وَفاتِها!"

قامَ البروفسور بِإِرْجاعِ شَفَتَي لوسي للخَلْفِ لإظْهارِ أسْنانِها البَيْضاء الوامِضَة وقال: "إنها حادَّةٌ أكْثَر مِن ذي قَبْلٍ وتَسْتَطيعُ عَضَّ الأَطْفالِ الصِّغار بها مِن الآن".

وَقَفْتُ صامِتاً وأنا أَرْتَعِدُ.

ثُمَّ قال فان هيلسينخ بِبَساطَةٍ: "يَنْبَغي أن أَقْتُلَها".

وَلَكِنَّني لَم أَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ عَنِ الارْتِجافِ وَهَمَسْتُ: "كَيْف؟"

أَخْبَرَني البروفسور: "بِغَرْزِ وَتَدٍ في قَلْبِها. وأنا أُريدُ العَوْنَ والمُساعَدَةَ مِنْك ومِن آرثر ومِن صَديقِه. كَذلِك يَتَوَجَّبُ عَلَيْنا أن

نتَعاملَ مَع الكونْت دراكولا. إنه يَمْلكُ قُوَّةَ عشرين رَجُلاً ويَسْتَطيع مُناداةَ ذِئْبِه لمُساعَدَتِه".

هَمَسْتُ: "مَتى؟"

وأجابَ البروفسور بِحَزْمٍ: "غداً في تَمامِ السّاعَة العاشِرَة ليلاً".

28 أيلول/سبتمبر

الْتقَيْنا نحن الأَرْبعةُ هَذا المَساء، فسَأَلَ آرْثر: "لِماذا نَحْن هُنا؟"

قالَ فان هيلسينغ بِرِقَّةٍ: "أُريدُكَ أن تَأْتيَ مَعي إلى باحَةِ الكَنيسَةِ حَيْثُ دُفِنَت لوسي".

سَأَلَ آرْثر: "لِماذا؟"

أخْبَره فان هيلسينغ: "لِنَفْتَحَ قَبْرَها!"

امْتَقَعَ وَجْهُ آرْثر وشَحُبَ للغايَةِ ونَهَضَ لِيَرْحَلَ، وقالَ وهو يَرْتَجِفُ:

"لقد زادَ الأمْرُ عن حَدِّه!"

قالَ البروفسور: "اسْمَعْني أرْجوك، أَتوَسَّلُ إليْك! إن كانَت لوسي مَيِّتَةً...".

سَأَلَ آرْثر بِغَضَبٍ: "ماذا تَعْني؟ هَل تَمَّ دَفْنها حَيَّةً؟ أخْبِرْني، هل حَدَثَ ذلك؟"

قالَ فان هيلسينغ: "أنا لم أَقُل إنَّها حَيَّةٌ، إنَّها...".

صَرخَ آرْثر: "إنَّها ماذا؟"

نَهَضَ فان هيلسينغ وقالَ: "أَعِزّائي، إنَّ مِن واجبي نَحوَكُم ونَحْوَ الآخَرينَ أن أُخْبِرَكُم بأنّ عَزيزَتَنا لوسي هِي الآن مَصّاصَةُ دِماءٍ. لقد

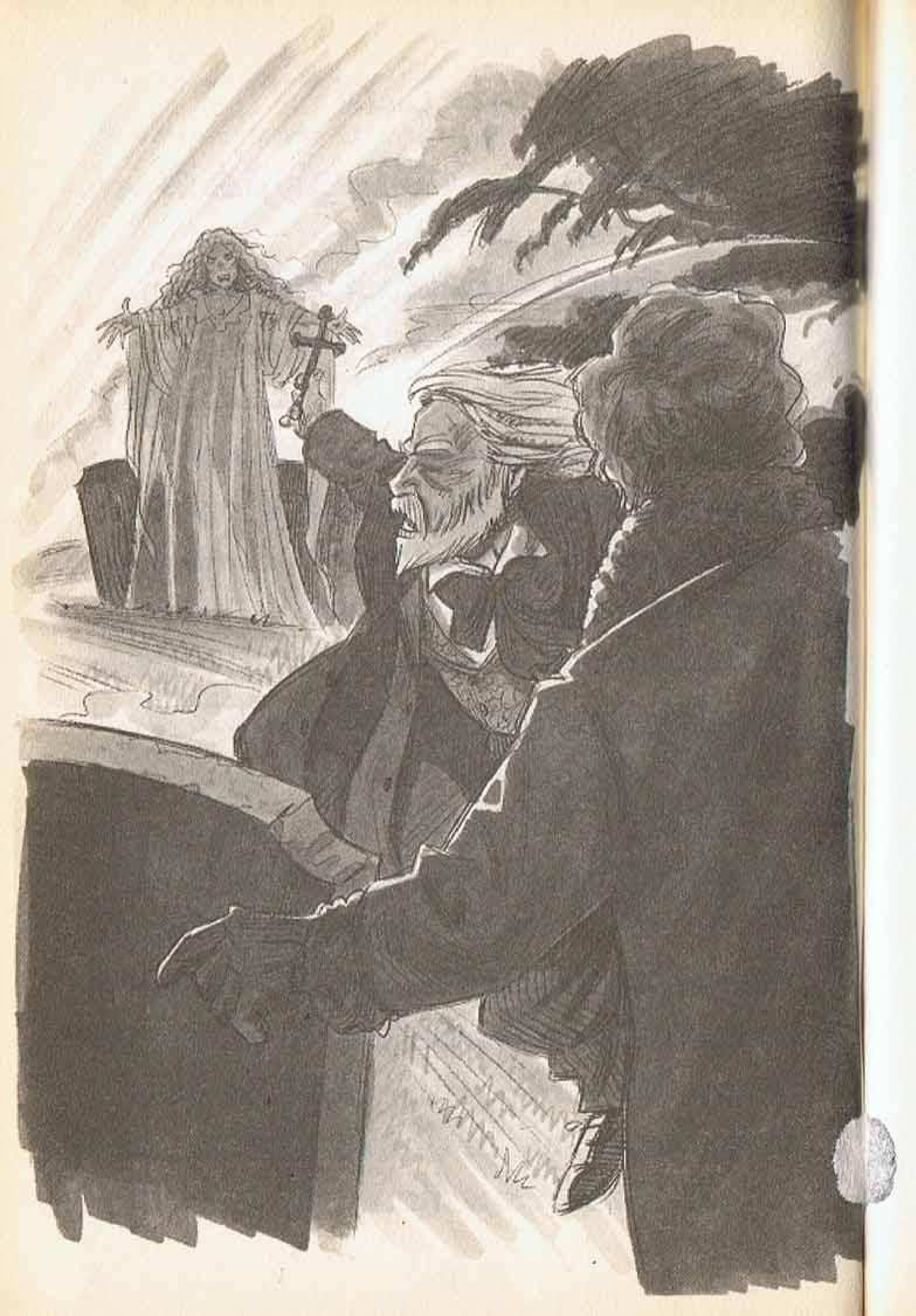
عَضَّها مَصّاصُ دِماءٍ يُدْعَى الكونْت دراكولا. ومَصّاصو الدِّماءِ هَؤُلاء لا يَموتون بل يَزيدون ضَحاياهم عَن طَريقِ العَضّ ويَنْشُرون شَرَّهُم في كُلِّ مكانٍ. والآن تَقوم لوسي بِعَضِّ الأَطْفال، فإن اسْتَطَعْنا قَتْلَها يُصْبِح بالإمْكانِ تَخْليصُ هَؤُلاء الأَطْفالِ وسَتَخْتَفي العَلامات عَن رِقابِهِم، ويَنْبَغي كَذلِك تَحْريرُ لوسي".

ظَنَنْتُ أنّ آرْثر سَيُغْمَى عَلَيْهِ فَزَعاً ولَكِنَّه تَبِعَنا إلى ذَلِكَ المَكان الرَّهيبِ في عَتْمَة اللَّيْل حيث كان نورُ القَمر يَتَخَلَّلُ الظُّلْمَةَ مِن وَقْتٍ لآخَر. وفي داخِلِ المَقْبَرَة، شَحُبَ وَجْهُ آرْثر للغايَةِ عِنْدَما فُتِحَ تابوتُ لوسي وَوُجِدَ فارِغاً.

قالَ البروفسور: "لا يَسْتَطيعُ مَصّاصو الدِّماء التَّحرُّكَ إلاّ في اللَّيْل. ابْقوا مَعي في الخارِجِ وسَتَرون أشْياءَ أغْرَبَ مِن هَذا التّابوتِ الفارِغ".

مَشَيْنا بارْتِباكٍ إلى الخارِجِ في الهَواءِ النَّقِيّ ورَبَضْنا في الظَّلام بِدونِ التَّفَوُّهِ بِكَلِمَةٍ. وبَعْدَ دَقائِقَ قَليلَةٍ رَأَيْنا شَيْئاً أبْيَضَ يَمْشي باتجاهِنا. وسَمِعْتُ آرْثر يَلْهَث. فَلَقَد رأى مَحْبوبَتَه لوسي! لكم تَغَيَّرَت! كان وَجْهُها الجميل يبدو قاسِياً للغايَة، وكانَت شَفَتاها حَمْراوَيْن داكِنَتَيْن تُغَطّيهما الدِّماءُ التّي سالت عَلى ذَقْنِها وعَلى رِدائِها الأَبْيَض. اعترانا الفَزَعُ وبَدَأنا نَرْتَجِف، ولو لَم نمسِك يَدَ آرْثر لكانَ سَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْه.

مَشَيْنا وَوَقَفْنا أمامَ باب مَدْخَل المَدْفَن، وعِنْدَما رَأَتْنا لوسي تَراجَعَتْ للخَلْفِ غاضِبَةً وبدأ الشَّرَرُ يتطايَرُ من عَيْنَيْها. ثُمَّ هَمَسَت بِعُذوبَةٍ:



"تَعالَ مَعي يا آرْثر، تَعال مَعي! اُتْرُك الباقين".

تَحرَّكَ آرْثر صَوْبَها بِذراعَيْنِ مَفْتوحتَيْن وَكأنَّه مُخدَّر، إلاّ أنَّ فان هيلسينغ رَكَضَ للأمام ورَفَعَ صَليباً صَغيراً بَيْنَهُما فرَكَضتْ لوسي بَعيداً نَحْوَ التّابوت وَوَقفت لِلَحْظَةٍ تَنْظُرُ إليْنا وَكأنَّها تُريدُ قَتْلَنا جَميعاً.

صَرَخَ فان هيلسينغ: "هَل أَفْعَل ما أَخْبَرْتُك بِه يا آرْثر؟ قُلْ لي الآن، فَلا يوجَد وَقْت!"

جثا آرْثر على الأَرْض بِرُكْبَتَيْهِ، وغَطّى وَجْهَهُ بِيَدَيْه وقال باكِياً: "افْعَل ما يَتَوَجَّب علَيْك فِعْله يا صَديقي، فَلا يوجَد رُعْبٌ أَكْثَرُ مِن هذا!"

وفيما كُنّا نَتكلَّم، رَأَيْنا جَسَدَ لوسي يَمُرّ عَبْرَ الجُدْران إلى التّابوت، فَقالَ فان هيلسينغ: "سَوْف نَقومُ بِإِنْهاءِ عَمَلنا غداً".

29 أيلول/سبتمبر

انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ! وكانت لوسي تَرْقُدُ بِسَلامٍ مِن جَديدٍ. فَقَد قُمْنا بِقَتْلِها بَعْد عَوْدَتِها إلى تابوتِها، وعادَ وَجْهُها كَما كان سابِقاً حُلْواً ونَقِيّاً ورَقيقاً، وقامَ آرْثر بِتَقْبيلِها قَبْل أن نُغادِرَ.

لكن هناك مُهِمَّة أخْرى يَنْبَغي القِيام بِها، ألا وهِيَ قَتْلُ الكونْت دراكولا.

الفصل الثامن

دَفْتَر يَوْمِيّات مينا هارْكر:
مُطارَدَة الكونْت دراكولا

30 أيلول/سبتمبر

نَحْنُ بِالقُرْبِ مِن مكانِ اخْتِباءِ مَصّاصِ الدِّماءِ!

لا بُدَّ من أنّ الكونْت دراكولا يَخْتَبِىءُ في المَنْزِلِ الَّذي اشْتَراه في لندن. وذلِكَ حَسَب ما اتَّضَحَ لَنا جَميعاً. قامَ جوناثان بِالتَّحَقُّقِ مِن كُلِّ التَّفاصيلِ ومِن أنّ الشَّحْنَةَ المُوَجَّهَةَ للكونْت والمُكَوَّنَةَ مِن 50 صُنْدوقاً قد وَصَلَت إلى المَنْزِلِ بَعْدَ أن تمّ سَحْبُها مِن السَّفينَةِ الرّوسِيَّةِ بَعْدَ العاصِفَةِ الكَبيرَةِ في ويتْباي وبِدون أن تَتَعَرَّض لأيِّ أضْرارٍ. وَلِدَهْشَتِنا كان مَنْزِلُ الكونت يقع بِالقُرْبِ من مُسْتَشْفى الدُّكتور سيوارد.

كُلُّنا الآنَ هُنا: أنا وجوناثان وآرْثر وصَديقُهُ والبروفسور فان هيلسينغ الذي خاطَبَنا بِقَوْلِهِ:

"أعْتَقِد أنّ من واجبي إطلاعكم على نَوْعِ العَدُوّ الذي نَحْنُ بِصَدَدِ البَحْث عَنْهُ". ثُمّ حَدَّقَ بنا لِبُرْهَةٍ وَأكْمَلَ: "لَو كُنْتُ أعْرِفُ حينَها ما أعرِفُه الآن حَوْلَ مَصّاصي الدِّماء لَكُنّا أنْقَذْنا الآنِسَة لوسي. إنّ مَصّاصَ الدِّماءِ يَزْداد قُوَّةً بِتَغَذِّيه على دِمائِنا. وعِنْدَها تكون لَدَيْه قُوَّةٌ أكْبَر لارْتِكابِ الشُّرورِ. فالكونْت دراكولا يَمْلِك قُوَّة عشرين رَجُلاً.

إذ يَسْتَطيع الظُّهورَ في المَكانِ الّذي يُريد وَبِأيّ شَكْلٍ يُريد. وفي النَّهارِ يَسْتَطيعُ الظُّهورَ بِشَكْلِ رَجُلٍ آدمي، وهُوَ يَمْلِكُ سَيْطَرَةً على العَواصِفِ والضَّبابِ والرَّعْدِ وتُطيعُهُ الحَيوانات. كَذلِكَ يَسْتَطيعُ أن يكْبُر أو أن يَصْغُرَ أو أن يَخْتَفي".

ثُمّ تَنَهَّدَ البروفسور بِعُمْقٍ وقالَ أخيراً:

"سَتَكون مُطارَدَتُهُ أمْراً فَظيعاً، فَهَل سَتُساعِدوني؟"

أوْمَأنا بالإيجابِ كُلُّنا.

ثُمّ قالَ البروفسور: "نَحنُ نَتَفَوَّقُ عَلى الكونْت دراكولا في أَمْرٍ واحِدٍ وهُوَ مَعْرِفَتُنا العِلْمِيَّةُ. فَلَدَيْنا حُرِّيَّةُ التَّصَرُّف فيما نَفْعَل وفيما نَعْتَقِد. والأهَمّ مِن ذلِكَ أنّ النَّهارَ واللَّيْلَ يَخْدِمان مَصالِحَنا. نَحْنُ نَعْلَم أنَّ الوَتَدَ الّذي يَخْتَرِقُ قَلْبَهُ سَيَقْتُلُه، كَذلِك فإنَّ الثُّومَ والأزْهارَ البَرِّيَّة والصَّليبَ تَشلُّ حَرَكَتَهُ. ويَتَوَجَّبُ عَلَيْنا أن نُدَمِّرَ جَميعَ الصَّناديق الّتي أَحْضَرَها مِن ترانسِلفانْيا".

سَألنا كُلُّنا مَعاً: "لماذا؟"

قالَ البروفسور: "إنَّه يَتَّخِذُها مَنْزِلاً لَه خِلالَ النَّهارِ".

وكانوا قد توجَّهوا للتَّوّ صَوْبَ مَنْزِل الكونْت دراكولا. وأعْتَرِفُ أنَّني كُنْتُ خائِفَةً جِدّاً مِن الذَّهابِ مَعَهم. ثُمّ مَنَعَني القَلَق مِن النَّوْمِ وتَناهى إلى سَمْعي صَوْتُ الكِلابِ تَنْبَح. فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَ النّافِذَة وتَطَلَّعْتُ. كانَ الظَّلامُ والسُّكونُ يُخَيِّمان على كُلِّ شَيْءٍ باسْتِثْناءِ خَطٍّ رَفيعٍ مِن الضَّبابِ الأبْيَض الذي كان يَزْحَفُ عَلى العُشْبِ نَحْو المَنْزِل.

أنْوي أن أَرْفَع أغْطِيَةَ السَّريرِ وأُغَطّي بِها رَأْسي وأحاوِل النَّوْم.

1 تشرين الأول/أكتوبر

حلَمْتُ حلْماً غريباً ليْلَة أمْس، بِأنّ ضَباباً أبْيَض تَسرَّب نَحْوَ الدّاخِلِ عَن طَريقِ الشُّقوقِ التّي كانَت في بابِ غُرْفَة نَومي. وأخَذَت سَماكَتُهُ تزدادُ شَيْئاً فَشَيْئاً. وَكان هُناك ضَوْءٌ أحْمَرُ بِشكْلِ العَيْن يَشعّ مِنْه. ثُمّ انْشطَرَ الضَّوْءُ إلى اثْنَيْنِ وأخذ يَشِعُّ بِشَكْلِ عَيْنَيْن حمْراوَيْن تماماً كاللّتَيْن تَحدَّثَت عَنْهُما المِسْكينَة لوسي في ويتْباي.

تَذَكَّرْتُ النِّساءَ المُريعات اللّواتي رآهُنَّ جوناثان في الضَّبابِ الأبْيَض عِنْد قلْعَةِ دراكولا. وشَعَرْتُ بالغثَيانِ والرُّعْب. وقَبْلَ أن أفْقِدَ الوَعْي رَأيْتُ وَجْهاً أبْيَض كالشَّبح يَنْحني فَوْقي.

يَجِب أن أطْلُب من الدُّكتور سيوارد أن يُعطيني شيْئاً ليُساعِدَني عَلى النَّوْمِ.



الفصل التاسع

مُذَكّرات الدّكتور سيوارد: الكونْت دراكولا يُهاجِمُ من جَديدٍ

1 تشرين الأول/أكتوبر

دَخَلْنا مَنْزِلَ الكونت دراكولا حوالي الخامِسَة صباحاً. وَكان المَكانُ يَعِجُّ بالفِئْرانِ الحيَّة! ومِن بَيْنِ الصَّناديقِ الخَمْسين وَجَدْنا تسعة وعشرين صُنْدوقاً فقط في المَنْزِل.

3 تشرين الأول/أكتوبر

لَقَد حَدَثَ شَيْءٌ رَهيبٌ. وَلكِن بِفَضْلِ أحَد مَرْضاي في المُسْتَشْفى فإن ذَلِك الأمْرَ لم يَزْدد سوءاً. فقد أخْبَرَني بِأنَّه رأى رَجُلاً ذا عَيْنَيْن حمْراوَيْن وأنّ ذَلِك الرَّجُل قد ضَحِك وقالَ إنَّه بانْتِظارِ مينا هارْكِر!

أخْبَرْتُ البروفسور فان هيلسينخ عَلى الفَوْرِ وقُمْنا بِخَلْعِ باب غُرْفَة نَوم مينا هارْكِر. وما رَأيت في تِلْك الغُرْفَةِ أرْعَبَني للغايَةِ فَأحْسَسْتُ بِقَلْبي وَكأنَّه تَوقَّفَ عَن الخفقانِ وشَعَرْتُ بانْتِصابِ الشَّعْرِ القَصيرِ عِنْد مُؤخِّرَة عُنُقي. فعلى ضَوْءِ القَمَرِ رَأيْتُ جوناثان هارْكِر يَتَنَفَّسُ بِصُعوبَةٍ وكان مُغْمَضَ العَيْنَيْن، وبِالقُرْبِ من السَّريرِ كانت تركَع مينا والكونْت دراكولا يَقِفُ بِجانِبِها ويَشدّ بِيَدِهِ اليُمْنى وَجْهَها

إلى صَدْرِهِ. كان رِداؤُها اللَّيْلِيّ مُلَطَّخاً بِالدِّماءِ مِن الأمامِ وكانَت الدِّماءُ تَقْطُرُ عَلى صَدْرِ الكونْت.

وفيما كنا نَقْتَحِمُ الغُرْفَةَ اسْتَدارَ الكونْت دراكولا لِيَنْظُرَ مَن القادِمَ، وعِنْدَ رُؤْيَتِنا تَوَهَّجَت عَيْناه احْمِراراً وأُطْبِقَت أَسْنانُهُ الحادَّةُ على بَعْضِها وكَأَنَّها أسنانُ حيوانٍ بَرِّيٍّ. ثُمّ رَمى مينا عَلى السَّريرِ ووَثَبَ نحونا فَرفَعْنا الصُّلْبانَ وصِرْنا نتقدمُ نحوه، إلاّ أنّ دُخاناً أَبْيَضَ خَفيفاً امْتَدّ وزحفَ مِن أسْفَلِ البابِ اخْتَفى بَعْده الكونْت دراكولا، وبَعْدَ ذلك رَأَيْنا خُفّاشاً...

أَطْلَقَتِ السَّيِّدَة هارْكِر صَرْخَةً قَوِيَّةً ثُمّ اسْتَلْقَت ضَعيفَةً عاجِزَةً وقد لَطَّخَ الدَّم شَفَتَيْها وَوَجْنَتَيْها وذَقَنَها وكان أيضاً يسيلُ قليلاً، وكانَ الرُّعبُ يظهَرُ في عَيْنَيْها. ثُمّ وَضَعَت يَدَيْها على وَجْهِها وأخذت تنوحُ بِيَأْسٍ عَميق.

ظَلَّتِ السَّيِّدَة هارْكِر المِسْكينَة في حالَةٍ فَظيعَةٍ طَوالَ اليَوْمِ وكنت أرى أن شَفَتيها قد تَراجَعَتا لِلخَلْفِ قَليلاً فَوْقَ أَسْنانِها كَما حدَثَ مع المِسْكينَة لوسي وَلكِنَّني لَم أَقُلْ شَيْئاً لِزَوْجِها، فَلَم يَكُن هُناك عَلامات تُشير إلى أنّ أَسْنانَها سَتَزْدادُ حِدَّةً ولكِنّي خَشيتُ مِن حُدوثِ هذا الأمْرِ لاحِقاً. وكنت أَخْشى كَذَلِك مِن تَحَوُّلِ مينا إلى مَصّاصَةِ

دِماءٍ وأن يلحَق بها جوناثان إلى تِلْكَ الأَرْضِ الرَّهيبَةِ المَجْهولَةِ.

في عَصْرِ ذلك اليَوْم اقْتَحَمْنا مَنْزِلاً آخر في البيكاديلّي أَمِلْنا بِأن نَجِدَ فيه الصَّناديقَ المتبقِّية مِن الشَّحْنَةِ. وقَدْ كانَت كُلُّها هُناك بِاسْتِثْناءِ صُنْدوقٍ واحِدٍ! كانَت رائِحَةُ الشَّرّ تَنْبَعِثُ مِن المَنْزِلِ تَماماً كَالمَنْزِلِ المُجاوِرِ لِلدّكتور سيوارد، لِذلِك أَيْقَنّا بِأَنّ الكونْت دراكولا كان هُنا بالتأكيد.

وَفَجْأَةً سَمِعْنا وَقْعَ خطْواتٍ بَطيئَةٍ حَذِرَةٍ في الرَّدْهَةِ. وبَعْدَها وبِقَفْزَةٍ واحِدَةٍ ظَهَرَ الكونْت دراكولا في الغُرْفَةِ حَيْث نَقِفُ، وما إن رآنا حتّى أخذ يُزَمْجِرُ كاشِفاً عَن أَسْنانٍ مُدَبَّبَةٍ طَويلَةٍ. فَرَفَعْتُ صَليبي ومَشَيْتُ للأمام. ونَتيجَةً لِذلِك اصْفَرَّ وَجْهُهُ وامْتَقَعَ فيما هُو يَتَراجَع إلى الخَلْفِ بِغَضَبٍ، ثُمّ أَلْقى بِنَفْسِهِ مِن النّافِذَةِ وقَفَزَ بَعْدَها عالِياً عن الأَرْضِ في ضَوْءِ شَمْس الغروبِ وَأَخَذَ يُنادينا:

"سَتَنْدَمون، كُلُّ واحِدٍ مِنْكُم! وسَيَبْدَأُ انْتِقامي من هَذِهِ اللَّحْظَةِ!"

هَمَسَ فان هيلسينغ: "يَجِب أن نَبْذُلَ كُلَّ ما بوسْعِنا لإيجادِ الصُّندوقِ الأخير المُتبَقّي. إن لَم نَعْثُرْ عَلَيْه فإنّ الكونْت سيختبِىء فيه ويَخْتَفي بَعيداً لِسَنواتٍ عَديدَةٍ".

وفي المَساءِ قُمْنا بِحِراسَةِ مينا بِالتّناوبِ.

4 تشرين الأول/أكتوبر

قرابَةَ الرّابِعَة مِن صَباحِ اليَوْم، طَلَبَت مِنّي السَّيِّدَة هارْكِر أن أُحْضِرَ البروفسور فان هيلسينغ.

سَأَلْتُ بِكُلِّ انْتِباهٍ: "هَل يوجَد خَطْبٌ ما؟"

أجابت: "لا، ولكِن أحضِرْهُ الآن، فلقد طرأتْ لديّ فِكْرَةٌ".

وبعْدَ دقائقَ معْدودةٍ ظهرَ هيلسينغ، فقالت لهُ السَّيِّدة هارْكر بِبَشاشةٍ: "أُريدُكَ أن تقومَ بتَنْويمي مغْناطيسِيّاً. افْعلْ ذلك قبْلَ الفجْرِ! أشْعُر أنَّ بِمقْدوري أن أُطلِعَكَ على مكانِ وجودِ الكونت، قُمْ بذلِكَ الآن!"

فعل البروفسور كلَّ ما طلبَتْ مِنْهُ. وكانت مينا تحدِّقُ في البَعيدِ، فهمَسَ البروفسور: "أيْنَ أنْتِ الآن؟"

أجابت مينا: "لا أدْري! فهذا كُلُّه غريبٌ بالنِّسْبَةِ لي، والظَّلامُ يسودُ".

سَأَلَ البروفسور: "ماذا تَسْمَعين؟"

أجابَت السَّيِّدَة هارْكِر: "صوتُ ارْتِطامِ مِياه، وأنا في سَفينَةٍ نائِمَةٌ".

عِنْدما أفاقَتِ السَّيِّدَة هارْكِر مِن أثَرِ التَّنْويم، نظر البروفسور فان هيلسينغ إليْنا كُلِّنا بِهُدوءٍ، وقال:

"إنّ الكونت دراكولا قد نقَل الصُّندوقَ الأخيرَ المَمْلوء بالتُّرابِ إلى ظهْرِ سفينَةٍ، وهُوَ يظُنّ أنّه سيَفِرّ بعيداً عنّا".

سألتِ السَّيِّدَة هارْكِر: "لماذا لا ندَعهُ يذْهَب؟"

أصْبَحَ وَجْهُ البروفسور أكْثر جِدِّيَّة وقال:

"يَجِب أن نعْثُرَ عليْه، يتَوجَّبُ عليْنا ذلك! الوقْتُ يعمَلُ ضِدَّنا الآن. لقد قامَ بعضِّكِ مرَّةً ولن نتَمكّنَ مِن إيْقافِ سَيْطرَتِه عليْكِ إلاّ بِموْتِه".

وفيما كُنّا نَسْتَمِعُ بِفزَعٍ شَديدٍ اسْتَطعْتُ أن أُمْسِكَ بمينا هارْكِر قبلَ أن تقعَ مغمياً عليْها.

الفصل العاشر

دفتر يوميات مينا هاركر: مَوْتُ الكونْت دراكولا

15 تشرين الأول/أكتوبر

لَقد غادَرْنا إنكلترا اليَوْمَ سالِكينَ طريقَ البرِّ.

لا أنام جيداً، ويقومُ البروفسور بِتَنْويمي مِغْناطيسِيّاً في الفَتْرَةِ المُمْتَدَّةِ مِن غروبِ الشَّمْسِ وحتّى شُروقِها.

30 تشرين الأول/أكتوبر

سيَتَوَجَّه آرْثر وعزيزي جوناثان نحْوَ قلْعَةِ دراكولا بالباخِرَةِ. وسَيَسْلُكُ الدُّكْتور سيوارد وصَديقُ آرْثر النَّهْرَ متنقلَيْن عبْرَ ضِفافِه. أمّا البروفسور فان هيلسينغ وَأنا فسَوْف نَسْلُك طريقَ البرِّ وهِي نفْسُ الطَّريقِ الّتي سلَكَها جوناثان في شَهْرِ أيار/مايو.

كانَ جوناثان غاضِباً مِن البروفسور. فسَألَهُ صارِخاً:

"هَل تقْصِد بقَوْلِكَ هَذا أيها البروفسور هيلسينغ بأنَّكَ تريد أخْذَ مينا كَما هي الآنَ وهي مَبْلِيَّةٌ بِمَرَضِ ذلِك الشِّرِّير مُباشَرَةً نَحْوَ التَّهْلُكَة؟ لا لَن أسْمَح بذلِك!"

وتَوَقَّفَ لِلَحْظَةٍ قبْلَ أن يُكمِلَ هامِساً:

"أنْتَ لَم تَرَ ذلِكَ المَكانَ الفَظيعِ. هَل شَعَرْتَ بشَفَتي مَصّاص الدِّماءِ على حلْقِكَ؟ ما الذي فَعَلْناه لِنُعاني كُلَّ هذا الرُّعْب؟"

ثم انهارَ زَوْجي المِسْكينُ على الأريكةِ، ولكِن البروفسور هَدَّأ مِن رَوْعِنا جَميعاً بِقَوْلِهِ بِرِقَّةٍ:

"آه يا صَديقي، سَنَذْهَب إلى ذَلِكَ المَكانِ الرَّهيبِ لإنْقاذِ زَوْجَتِك، فإذا فَرّ الكونْت هذه المرّة، فقد يَنام في قَلْعَتِهِ قَرْناً كامِلاً وسَتَتَحَوَّل عزيزتُنا لينا خلال هذا الوقتِ إلى مَصّاصَةِ دِماء".

ثم نَظَرَ إلى زَوْجي وقال:

"سَتُصْبِحُ مِثْل النِّساءِ اللاّتي رَأَيْتَهن هُناك يا جوناثان، هَل تَذْكُرهنّ؟ أجل، إني أراكَ تَرْتَجِف فيما أَتَكَلَّمُ عَنْهنّ".

قالَ زَوْجي وهُوَ يَبْكي بِحُرْقَةٍ: "افْعَلْ ما يَتَوَجَّب عليك، ونَحْن نَنْتَظِر رَحْمَةَ الله!"

بَعْد ذلك وَدَّعْتُ زَوْجي الحَبيبَ. فلعلّنا لَن نَلْتَقي مُجَدّداً. فَتَشَجَّعي يا مينا!

2 تشرين الثاني/نوفمبر

قامَ فان هيلسينغ بِتَنْويمي مِغْناطيسِيّاً هذا الصَّباح، وهُوَ يَقولُ بِأنّني أَجَبْتُ: "ظَلامٌ وغابَةٌ مُتَشابِكَةٌ ومِياهٌ هادِرَةٌ"، لِذَلِك يَبْدو بِأنّ النَّهْرَ يَجْري نَحْوَ الجِبال. أَرْجو أن يكون زَوْجي الحَبيبُ بِمَنْأى عَن الخَطَرِ.

4 تشرين الثاني/نوفمبر

الطَّقْسُ بارِدٌ للغابَةِ والسَّماءُ الرَّمادِيَّةُ تنذِرُ بِتَساقُطِ الثُّلوج، وإن تَساقَطَت فإنها سَتَبْقى طيلةَ فصلِ الشِّتاءِ أما أنا فإنّني أقضي

مُعْظَمَ الوَقْتِ نائمة، وقد فَقَدْتُ شَهِيَّتي للطَّعام. حاوَلَ البروفسور أن يُنَوِّمني وَلَكِن ذَلِكَ كان بِدون أيّ أثَرٍ.

كنا نتوغَّل صُعوداً في الجِبالِ أكثر فأكثر. وأنا أذكُرُ الطَّريقَ مِن مُذَكّراتِ جوناثان. وَأَشْعُرُ بِنَوْمي يَقِلّ.

5 تشرين الثاني/نوفمبر

كانَ يَوْماً مُرْعِباً. وشَعَرْنا نحن الاثنان بِعَصَبِيَّةٍ طوال هذا اليَوْم الذي ابْتَعَدَ فيه النَّوْمُ عَن جُفوني. ولَم أَسْتَطِعْ تَناوُل أيّ شَيْءٍ. بَعْدَ حُلولِ الظَّلام، انْتابَ البروفسور الخَوْفُ فَأَشْعَلَ ناراً وَوَضَعَ طَوْقاً مِن الثُّومِ والأَزْهارِ البَرِّيَّةِ حَوْلي فَشَعَرْتُ أنا كَذَلِكَ بِالخَوْفِ وتَشَبَّثْتُ بِذراعِهِ.

لَقَد أَخْبَرَني البروفسور بِما جرى لاحِقاً:

"حَتّى في الظَّلام كنت أستطيع أن أتبيَّنَ ضَوْءاً خافِتاً أَبْيَضَ في المَدى البَعيدِ. وكان يحومُ فَوْقَ الثَّلْجِ ويبدو وَكَأنَّه يَتَّخِذُ شَكْلَ ثَلاث نِساء. ظَنَنْتُ بِأنّ هذا الأمر مِن صُنْعِ مُخَيِّلَتي وبِأنّني بِبَساطَةٍ أتذَكَّر ما وَصَفَ زَوْجُكِ العَزيزُ في مُذَكّراتِهِ. بَعْدَ ذَلِك بَدَأَتِ الخُيولُ تَصْهَلُ واقْتَرَبَ الشَّكْلُ الأَبْيَضُ مِنْك وأحاطَكِ بِدائِرةٍ يا عَزيزَتي مينا. وَلَكِنَّكِ جَلَسْتِ هادِئَة للغايَةِ تَهْمِسين: "هَل هُناك أمانٌ داخِلَ هَذِهِ الدّائِرَة!"، ثُمَّ وَقَفَتِ النِّساءُ أمامَنا وهَمَسْنَ بِعُذوبَةٍ: "تَعالي يا أُخْتاه، تعالي مَعْنا". فَقُمْتُ بِالْتِقاطِ قِطْعَة خَشَبٍ مُشْتَعِلَةٍ ورَفَعْتُها مَعَ صَليبي حَتّى الفَجْر".

وبَعْدَ أن انْتَهى البروفسور مِن سَرْدِ قِصَّتِهِ شَعَرْتُ بالذُّعْرِ الشَّديد، وهَتَفْتُ: "هَيّا بِنا نغادرُ هَذا المَكان الكَريه المرْعِب!"

6 تشرين الثاني/نوفمبر

مشينا طوالَ اليَوْمِ حَتّى رَأَيْنا حُدودَ قَلْعَةِ دراكولا مِن بَعيدٍ. وكانت جاثمةً هُناك فوق هاويةٍ شَديدةِ الانْحِدارِ عَلى ارْتِفاعِ أَلْف قَدمٍ عَلى قِمَّةِ التَّلَّةِ. وكان عُواءُ الذِّئابِ يتناهَى إلى سمعِنا فَوْقَ الثَّلْجِ. وكانَ النَّهْرُ يجري تحتنا.

وَفَجْأَةً، رَأَيْنا مُباشَرَةً أمامَنا عَرَبَةً تَحْمِلُ صُنْدوقاً خَشَبِيّاً ضَخْماً تُسْرِعُ نَحْوَ قَلْعَةِ دراكولا. فَقَفَزَ قَلْبي فَرَحاً وهَمَسَ البروفسور:

"يكادُ الأمرُ يَنْتَهي. وَلَكِنَّ الليلَ يقتربُ ويَتَوَجَّبُ عَلَيْنا أن نَقْتُلَ الكونْت دراكولا قَبْلَ أن يَتَّخِذَ أيَّ شَكْلٍ يُريد ويفرَّ مِنّا إلى الأَبَدِ".

نَظَرْتُ عَبْرَ نَظّارَتي وهَتَفْتُ بِحَماسَةٍ:

"أَسْتَطيعُ رُؤْيَةَ الآخرين! إنَّهُم يَقْتَرِبون مِنَ العَرَبَةِ مُحاصِرينَ إيّاها! يَنْبَغي أن نُساعِدَهُم!"

وَلَكِنَّ الثَّلْجَ الكَثيفَ بدأ يَهطِلُ حَوْلَنا حاجِباً الجميعَ عَن ناظِرِنا. ثُمَّ بَدَأَتِ الذِّئابُ تَعْوي مِن جَديدٍ وتمكَّنْتُ مِن رُؤْيَتِها تَتَجَمَّعُ في مَجْموعاتٍ مِن اثنين أو ثَلاثَةٍ. فَأَخْرَجْتُ مُسَدَّسي.

انْتَظَرْنا، وكانت الرِّياحُ خِلالَ ذَلِكَ تَهبُّ بِقُوَّةٍ قاذِفَةً الثَّلْجَ فَوْقَنا. ولَم نَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ شَيْءٍ أَبْعَدَ مِنّا. وَلَكِن فيما بَعْد غَيَّرَتِ الرِّياحُ اتِّجاهَها وبَدَأَتْ بِنَفْخِ الثَّلْجِ بَعيداً عَنّا فَتَمَكَّنا مِن رُؤْيَةِ الجميعِ يَقْتَرِبون منا شَيْئاً فَشَيْئاً. ثُمَّ تَحَرَّكْتُ أنا والبروفسور إلى الأمامِ ورَبَضْنا خَلْفَ صَخْرَةٍ وبَنادِقُنا عَلى أُهْبَةِ الاسْتِعْدادِ.

سَمِعْتُ صَوْتَ زَوْجي يَصْرُخُ:

"تَوَقَّف!"

وفي نَفْسِ الوَقْتِ نَهَضْنا أنا وفان هيلسينغ شاهِرين أَسْلِحَتَنا عَلى الرِّجالِ الذين كانوا في العَرَبَةِ والذّين أَدْركوا أَنَّهُم مُحاصَرون فَشَدّوا لِجامَ أَحْصِنَتِهِم لإيْقافِها وشَكَّلوا حلقةً. وما لَبِثَ جوناثان أن وَصلَ إلى تِلْكَ الحلقة أَوّلاً وشَقَّ طَريقَهُ للدّاخِلِ.

هَمَسْتُ: "أَسْرِع! أَسْرِع! الشَّمْسُ تَغيبُ!".

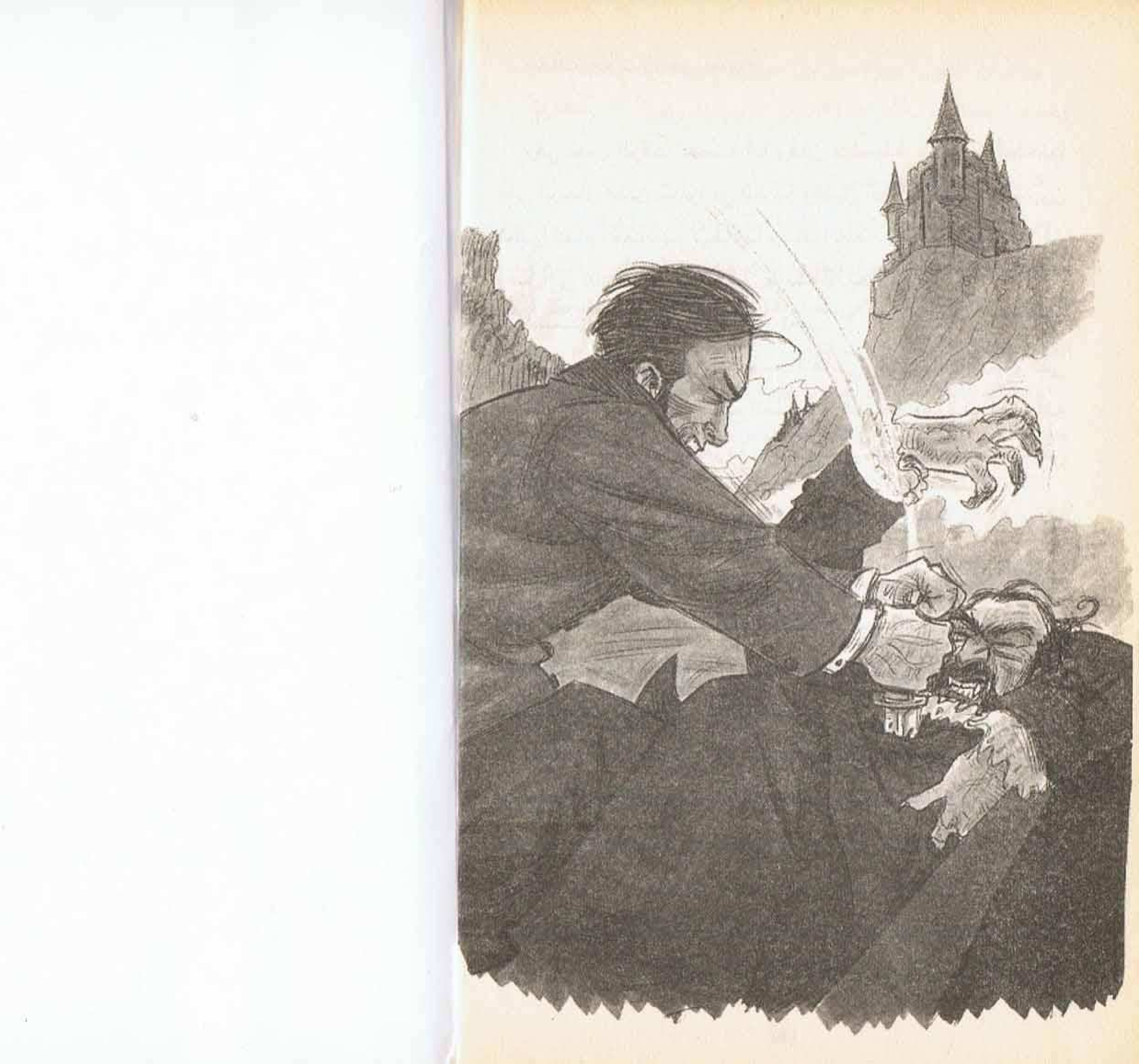
قَفَزَ جوناثان إلى العَرَبَةِ. حَبَسْتُ أَنْفاسي وكنت بالكاد أَجْرُؤُ عَلى النَّظَرِ إلى زَوْجي الذّي دَفَعَ الصُّندوقَ الضَّخْمَ بِقُوَّةٍ لم أَعْلَم أنه يَمْتَلِكُها ثُمَّ قَفَزَ مِنَ العَرَبَةِ وأخذ يضربُ الصُّنْدوقَ بِسكّينِهِ في مُحاوَلاتٍ يائِسَةٍ مِنْه.

وَفَجْأَةً، فُتِحَ غِطاءُ الصُّندوقِ.

انْحَنَيْتُ إلى الأَمامِ وحَدَّقْتُ في الصُّندوقِ. ورَأَيْتُ الكونْت دراكولا يَرْقُدُ هُناك وهو شاحِبٌ للغايَةِ كَتِمْثالٍ مِن شَمْعٍ. وكانت عَيْناهُ الحَمْراوَيْن تَشِعّان شَرّاً أَعْرِفُهُ جَيِّداً. وفيما كان يَنظُر إلى الشَّمْسِ تَغيبُ تَحَوَّلَت نَظْرَتُه إلى نَظْرَةِ انْتِصارٍ.

فَجْأَةً، رَأَيْتُ وَميضَ سِكّين جوناثان الكَبير يَرتَفِعُ عالِياً ويَنْغَرِزُ في جَسَدِ الكونْت. وكانَ هَذا الأَمْر بِمثابَةِ مُعْجِزَةٍ. ففيما كنا نَنْظُر بدأ الكونْت دراكولا يَتفتَّتُ ويتحوّلُ إلى غُبارٍ ثم اخْتَفى عَن ناظِرِنا إلى الأبد.

وفيما كان الكونْت دراكولا يَلْفظُ نفسَهُ الأخير غَمَرَتْني سعادةٌ كبيرةٌ عندما رَأَيْتُ نَظْرَةَ مِلْؤها السَّلام والطُّمأنينَة عَلى وَجْهِهِ.



أروع القصص العالمية

دراكولا



أكاديميا